بولي هوين

التنين الأخير

THE LAST DRAGON

رسوم: كريس لوك
ترجمة: فاطمة أحمد

عصير الكتب

التنين الأخير

THE LAST DRAGON

للنشر والتوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Last Dragon
- العنوان العربي: التنين الأخير
- تأليف: بولي هوين
- ترجمة: فاطمة أحمد
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: مريم عبد الجليل
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رسوم: كريس لوك
- الطبعة الأولى: يناير/2025م
- رقم الإيداع: 27292/2024م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-457-1

- حقوق النشر:
Text copyright © Polly Ho-Yen, 2024
Illustrations copyright © Charis Loke, 2024
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار «عصير الكتب» للنشر والتوزيع
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

بولي هوين

التنين الأخير

THE LAST DRAGON

رســوم: كريس لوك
ترجمة: فاطمة أحمد

عصير الكتب

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©

امسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

إلى بي المُندفِعِ والشجاع

1

لم أحظَ بالوقت الكافي للاهتمام بأمر التنين. لكن بعض الناس مفتونون به، يعيشون من أجله، ويسافرون حول العالم لرؤيته، ويُخصصون كلَّ لحظةٍ من وقتهم لأجل لمحة فقط لأجنحته الرمادية الخَشِنة. وهناك أشخاص؛ مثلي أنا، مستقرون في أماكنهم ويقضون كل لحظة في أثناء يقظتهم من أجله فقط. وما أقصده هنا هو أنني ذلك النوع من الأشخاص الذين يُلصقون صورَهُ على الجدران. ويوثقون تحركاته، يدرسونه ويأملون أن يطير يومًا ما بجانب نوافذهم.

في هذه اللحظة آمل أن يكون السيد لوتون من أولئك الناس، لأنه بينما هو موشك على توبيخي، صرخت بيرتي قائلة: «التنين». وركضتُ نحو النوافذ المستطيلة الشكل المصطَّفة على جانب

الجدران. وللمرة الأولى في حياتي شعرت بالامتنان قليلًا أنه ما يزال هناك واحدٌ حقًّا في هذا العالم.

تردَّد السيد لوتون وإصبَعه ما تزال تتمرجَح في الفضاء لكنه توجَّه في النهاية مسرعًا نحو النافذة ليرى إن كان بإمكانه أن يلمحه.

رأيتُ التنين مرتين؛ مرة عندما كنا في عطلة، في سنٍّ ظننا فيها، أنا وجورج أن التسبب في الفضائح على الشاطئ هو أفضل أنواع المرح في العالم. وبينما كنا نضع آخر مصادفة على البرج ظهر التنين. في البداية رأينا نقطةً في الأُفق لكن أخذت النقطة تكبر وتقترب حتى حلَّق فوق رؤوسنا. كل ما أستطيع تذكره هو شكل بطنه عندما طار فوقنا. كان مرقَّطًا ومجعَّدًا بطريقةٍ دفعتني إلى التفكير بأشياء قديمة، مثل المخططات والقطع الأثرية الصخرية القديمة، كما أتذكر صوت أجنحته

عند طيرانه، كان الصوت أشبه بدقات القلب، بطيئًا وثابتًا وإيقاعيًّا. أو لربما ظننت ذلك لأن الصوت تردد في صدري من قلبي عندما عبر.

عندما أتذكر تلك اللحظة، أرى نفسي أنا وجورج جالستين معًا على الرمال. فتاتين صغيرتين بشعر بُني غامق متناسق، شعرها كثيف ومجعّد، وشعري منسدل للغاية مثل الحرير، تنظران إلى بطن التنين الضخم فوقنا مباشرةً.

والمرة الثانية بحسب ما أذكر لم أَرَه عن قُرب،كان ذلك السنة الفائتة عندما مرِضَتْ جورج ولمحه شخصٌ ما في المستشفى الذي كُنَّا به. تحمّس البعض لرؤيته واشرأبّت الأعناق من النوافذ لكنه كان نقطةً في السماء ولم يقترب.

إلا أن هناك بعض الناس الذين بقوا في أماكنهم ولم يحاولوا حتى أن يلمحوه. فهناك أشياء أهم من رؤية التنين، مثل التحسن والتعافي.

لكن الآن بعد أن تفادينا التوبيخ أنا ممتنة لظهور تيلدي العجوز. ذلك لقبٌ سيِّئ يستند إلى الاختصار تي إل دي التي ترمز إلى «التنين الأخير»، لأنها الأخيرة، آخر تنين على وجه الأرض، وبموتها لن يكون هناك تنين آخر.

«تلك مجرد خطة»، تنهَّد الجميع في الفصل باللحظة

نفسها وارتسمت أَمَارات الخيبة على وجوههم لأن التنين لم يظهر اليوم. كانت الغرفة بالية وعديمة الملامح وجدرانها كالحة، والمقاعد مُصطَفَّة بطريقةٍ خالية من الإثارة ومُملّة.

قال السيد لوتون: «والآن، أين كنا؟».

فانزلقتُ إلى الأسفل على أمل أن ينسى أنه كان يوبخني لأنني ضربت بعنف كومة الكتب المتكدسة التي كانت على مِقعده.

لم أستطع منع نفسي،كان يوبخني بشأن شيءٍ ما مجددًا، شيءٍ سخيف. لا أستطيع حتى أن أتذكره، شيءٌ مثل أن قميصي غير مرتب أو أنني كنت أجلس بتراخٍ جعله يشعر بالإهانة. أشعر أحيانًا أن رؤية وجهي كفيلة بإزعاجه.

استطعت أن أسمع نوعًا من الهدير في أذنيّ بينما كان يهذر ويوبخني، شعرت بفقّاعات تتسابق وتندفع بداخلي، إلى أن وصلت إلى يديّ. وما أذكر حصوله بعدها هو دفعي للكتب بقوة. دفعتهم نحوه وكان ذلك خَطئي. ثار غضبه حينها، لكن كان ذلك غريبًا لأنني استطعت أن أرى ما أشعر به بداخلي مرسومًا على ملامح السيد لوتون.

تراكم كلُّ ذلك وشقَّت مشاعر الغضب طريقها لتخرج مني. وتلك لم تكن المرة الأولى، ولن تكون الأخيرة. لم أعرف كيف أتحكم فيها، رغم أن حياتي كانت لتصبح أسهل لو عرفت. لو لم أدفع الكتب لكنت

الآن على مقعدي، وبعيدة عن مراقبة السيد لوتون، لكن في الواقع ما زلت هنا، أحاول أن أقلّص نفسي أكثر أمام الفصل بأكمله.

شزرني السيد لوتون وقال: «والآن، كيف سأتصرف معكِ؟»، وحدّج عينيه واربدّ وجهه، دائمًا ما يصبح وجهُه هكذا عندما يوبخني. ارتعش الضوء المنعكس على صلعته اللامعة بطريقةٍ جعلتني أرغب في الضحك لكنني علمتُ أن ذلك سيوقعني في مزيدٍ من

المشكلات. نظرت عبر النافذة في الاتجاه الذي ظنوا أن التنين يحلّقُ فيه، لكن لم يكن هناك سوى فراغ عظيم وسماء لا تنتهي. تمنيت لو كنت أنا أيضًا هناك، في الأُفق الأزرق، مثل تيلدي العجوز. لكن بصراحة لم أكترث بأمر التنين، فلديَّ ما يكفيني من المشكلات.

قالت جورج وهي مُحاطة بكومةٍ من الوسادات: «أخبريني ما الذي حصل؟».

بَدت كأنها تريد النوم. مضى على جلوسها في غرفة المستشفى أربعة أشهر. عندما انتقلت إلى هنا في المرة الأولى قضينا جميعًا فترةً طويلة ونحن نتحدث بمرح عن لطافة الغرفة. كان هناك شكلٌ أزرق على الحائط يشبه عباب البحر، ورفٌّ على أحد الجوانب رتبنا عليه بطاقات كُتب عليها مع تمنياتنا بالشفاء العاجل. لكن الشكل الأزرق لا يبدو مثل عباب البحر الآن، بل أصبح أشبه بدوامةٍ زرقاء خانقة. وتغبّرت البطاقات وتَلِفت وسقطت عن الرف بسبب بقائها لفترةٍ طويلة.

تلعثمت قائلة: «لا أدري، لم يكن بالشيء المهم، بل كان ذلك سخيفًا ولا معنى له».

تلقّى أبي وأمي مكالمةً هاتفية من السيد لوتون وأخبرا جورج عنها قبل وصولي. خرجا ليتحدثا مع الممرضة بشأن أمرٍ ما وتركاني أنا وجورج بمفردنا، لذا تحدثت عن الموضوع مباشرةً.

طوقت بأصابعي ربطة شعرٍ في جيبي وسرحت شعري تسريحة ذيل الحصان متظاهرة أنني مشغولة بذلك. لا أحب أن أتحدث عن خلافاتي في المدرسة مع أي أحد، وخاصةً -لسببٍ ما- مع جورج. في البداية ارتخت الربطة فلم تبدُ تسريحةُ ذيل الحصان مثاليةً، شعري ناعم للغاية لذا لا توجد أي تسريحة تناسبه.

قالت جورج بنبرةٍ حازمة تظهر أنها تريدني أن أتكلم: «ديارا، أعلم أنكِ لست مسببة للمتاعب، لكن...».

وحدَّقت إليّ بعينيها البنيتين الداكنتين وللحظة تذكرت اليوم الذي أحضرتْ فيه أمي جورج من المستشفى للمرة الأولى. رغم أنني سمعت القصة كثيرًا فإنني لست واثقة إن كانت تلك الذكرى عالقة في ذاكرتي أم إنه أُعيد تكرارها أمامي كثيرًا. بدت أختي الصغيرة حينها مثل كومة من الأغطية. لكن عندما أحاطني أبي وأمي بالوسادات على الكنبة ومرَّرَاها لي لأحملها فتحت فجأة عينيها المغلقتين وحدَّقت إلى عينيّ. ورغم أنها كانت تبلغ من العمر يومين فقط فإن الأمر بدا كأنها تعرفني. شعرت بالشعور ذاته اليوم لكنني حاولت التملُّصَ منها.

- أوه، أجل. وكيف تعرفين ذلك؟ قد أكون مسببةً كبيرةً للمتاعب، قد يكون ذلك جانبًا من شخصيتي لم تريه من قبل قطُّ. ولربما أيضًا... ولربما أسحب حبل الطوارئ هذا فقط للمرح. أيُّ زرٍّ من هذه الأزرار يجعل الجميع يأتون ركضًا إلى هنا؟

ضحكت جورج وهزَّت رأسها، فانسدل شعرها المتموج على كتفيها وبقيت عيناها تحدّقُ إلى عينَيّ. في الواقع إنها محقة. أنا الشخص العقلاني المتقيد بالقواعد. أنا الأخت الكبرى المسؤولة والحريصة والحذِرة. لذا يمكن لجورج أن تتصرف على طبيعتها. لم تحتج يومًا إلى التفكير بالعواقب لأنني سأكون دائمًا بجانبها لحمايتها.

لا أدري إن كان يعجبها كوني كذلك، جورج دائمًا تحاول إقناعي بفعل أشياء لم أفكر فيها. لكن بدأت مشاعر الغضب تتراكم بداخلي بعد أن مرضت جورج، وجعلني ذلك أفعل أشياءَ ما كنت لأفعلها أبدًا.

لا يحتاج الأمر إلى ذكاءٍ لمعرفة سبب شعوري بالغضب، أنا قلقة على أختي وأريدها أن تتحسن. ولا يوجد شيء ولا أي شيء واحد يمكنني فِعله لمساعدتها. وذلك يدفعني إلى الجنون.

- لنتحدث عن شيءٍ آخر،كيف كان يومكِ؟

لوهلةٍ عرفتُ ما أرادت أن تجاوب: *لم يحدث أي شيء اليوم لأنني كنت عالقةً هنا في هذا السرير وفي هذه الغرفة الملآنة بتدرُّجات اللون الأزرق في هذا المستشفى*. لكن عوضًا عن ذلك ابتسمت وقالت: «لا يمكنني التذمر».

عضضت على شفتَيّ انزعاجًا، أحيانًا تكون أبسط الأسئلة هي أكثر الأشياء الخاطئة لقولها، لكنها أردفت: «هل تريدين إخباري بشيءٍ ما غير رغبتكِ بدفن أستاذكِ بالكتب؟».

- لم يكن هناك كثير من الكتب، لكن لا. لا شيء آخر. واعتقد شخصٌ ما أنه رأى التنين.

صاحت جورج بابتهاج: «حقًّا؟ أكان التنين هناك؟».

أضفت سريعًا: «كان ذلك تنبيهًا كاذبًا».

- أوه، أتساءل كم بقي من الوقت لتيلدي العجوز، أتتذكرين عندما رأيناها على الشاطئ ذات مرة؟

- بالطبع.

- رأيتها أنا أولًا لكن أمي وأبي لم يظنا أن ذلك كان التنين حقًّا. بل ظنَّا أنها طائرة أو شيءٌ من هذا القبيل. لكنكِ صدقتِني.

سألت جورج: «هل تتذكرين صوت أجنحتها عندما طارت فوقنا؟».

وضعت جورج يدها على صدرها وقلنا معًا في الوقت ذاته: «مثل ضربات القلب».

وضحكنا في الوقت ذاته وللحظةٍ تظاهرتُ أننا لم نكن في المستشفى وأن جورج ليست طريحة الفراش، وأننا كنا جميعًا على الشاطئ وأقصى همومنا هو أي مصادفة علينا أن نضع على القلعة الرملية. ثم لاحظت أن جورج شحب وجهها فجأة وقلقت أن يكون الضحك قد جعلها تشعر بالإرهاق بطريقةٍ ما.

دخل والدَاي في اللحظة ذاتها. قالت أمي وهي تعدل خصلةً من شعرها الأسود: «ما المضحك للغاية هنا؟».

قالت جورج بعد أن ارتسمت عليها نظرة لم أفهمها تمامًا: «لا شيء».

قال والدي وهو ينكش شعري بالطريقة التي اعتاد فعلها منذ الأزل: «من الجيد رؤيتكما تضحكان معًا».

وبرقتْ عيناه الزرقاوان قليلًا وأكمل: «لا أدري لماذا يحمل الأستاذ الضفينة لهذه الفتاة بالذات. هي لا تسبب المشكلات ولم تكن كذلك قطُّ».

زمَّت أمي شفتيها قليلًا، لم يقل أيٌّ منهما ذلك من قبل، لكنني أعلم أن وقوعي في مشكلة هو آخر شيءٍ يحتاجان إليه مع كل ما يحدث مع جورج. كان هناك الكثير من الأشياء التي يجب أن أعتاد عليها في الأشهر القليلة الماضية؛ انتقلنا إلى هنا عندما احتاجت إلى علاجٍ جديد ما يعني أنها بحاجة إلى البقاء في المستشفى. تمنيت أن تعود جورج للمنزل قريبًا وأن تبدو الأمور كأنها طبيعية إلى حدٍّ ما، لكن الأيام تحوَّلت إلى أسابيع ثم إلى أشهر وما زلنا نحن الثلاثة في شقةٍ صغيرة مضحكة لم نرتبها بشكلٍ صحيح، دون وجود جورج معنا.

يندر وجود أمي وأبي هناك أيضًا، فهما إمَّا في العمل وإمَّا في المستشفى وأنا اعتدتُ على البقاء هناك بمفردي. وعندما حاولا إيجاد

شخصٍ يرافقني وجدا مربيةَ أطفال تأتي بين الحين والآخر لتعدَّ لي العشاء وأشياء من هذا القبيل. كان اسمها كاتيا، وكان لا بأس بها، لكنها سافرت ولم يستطيعا إيجاد أحدٍ منذ ذلك الوقت.

قالت أمي: «هيّا يا يارا، حان الوقت للذهاب إلى المنزل، سأوصلكِ عند ذهابي إلى العمل».

تعمل أمي في شركة تقديم طعام لذا غالبًا ما يتعيَّن عليها العمل في المساء.

قلت بتذمر: «حقًّا؟».

ثم رأيت وجهَ جورج الذي بدا أكثر شحوبًا فعلمت أنها بحاجة إلى الراحة.

- حسنًا، أراكِ غدًا يا جي.

فردَّت جورج مازحة بسرعة: «إلى اللقاء يا مسببة المتاعب».

قال أبي: «أراكِ لاحقًا يا جوهرتي. لديَّ بعض العمل لكن سآتي لرؤيتكِ عند عودتي».

التقط أبي سُترته واستعد للخروج. أومأت برأسي لكن لم يقل أحد منَّا حقيقة ما سيحصل. حقيقة أنه سيعود متأخرًا وسأكون أنا نائمة. سمعت أمي وأبي يقولان إنه لا يوجد وقتٌ لهما ليفعلا أي شيء. لكنهما بقيا على رأس عملهما ويذهبان إلى المستشفى

ويقومان بواجباتهما المنزلية من شراء الحاجيات أو إصلاح تسريب صنبور المياه. الجزء الذي خسرناه هو الوقت الذي اعتدنا أن نخرج فيه ونقضي بعض الوقت معًا دون أن نفعل أيَّ شيء، فقط مشاهدة برامج سخيفة على التلفاز. أو تبادل أطراف الحديث ونحن نعد شراب الشوكولاتة الساخنة. ذلك الجزء القصير من الوقت الذي اعتدنا أن نكون فيه معًا استُبدل ببقاء أمي وأبي مشغولَين وبقائي أنا بمفردي.

طبع أبي قُبلةً على جبيني وجبين جورج لكن انتابتني فجأة رغبة عظيمة لعناقه. حجم أبي أكبر بكثير من حجم أمي ومن حجمي ومن حجم جورج معًا. وهو أطول منَّا بكثير. عندما اعتاد عناقي عندما كنت أصغر سنًّا كنتِ أشعر أنه طويلٌ للغاية وضخم مثل جذع شجرة. للحظة تمنيت أن يحملني ويرفعني لأصل على مستوى وجهه اللطيف مثلما اعتاد فِعله حينها. لكنه خرج مسرعًا وخرجت أنا أيضًا وأعادت أمي ترتيب الأغطية على جورج.

عندما عدت للشقة، أعددت العشاء لنفسي. اختصاصي هو المعكرونة سريعة التحضير مع الذرة والجبنة وأحب أكل التفاح لذا التقطت واحدة من وعاء الفواكه. أكلت بأسرع ما يمكنني وأنا أشاهد مقطع فيديو على هاتفي المحمول لكلب يحاول التسلل إلى المطبخ لسرق قطعة نقانق. لا يمكنني تحمُّل البقاء بمفردي في الشقة. رغم أن الغرف ملآنة بأشيائنا فإنها تبدو فارغة مثلما كانت عندما

انتقلنا. ثلاث غرف نوم صغيرة وحمام دون نوافذ. وأكبر غرفة هي غرفة الجلوس والمطبخ، المكان الذي أنا فيه الآن. الشيء الوحيد الذي يعجبني هو النوافذ الكبيرة التي أستطيع أن أرى خلالها الضوء والمدينة.

بعد أن انتهيت من تناول الطعام خرجت من المنزل بمفردي. إذ إنني أشعر بتحسن عندما أكون مُحاطة بالحشود. يوجد مركز تسوق لا يبعد عن هنا كثيرًا ويوجد هناك ذلك النوع من الإضاءة الذي أحب رؤيته عند النظر من النافذة. لذا تمشيت إلى هناك عبر الحديقة.

مشيت بجوار ظلال وتماثيل وأناس يعبرون بدرّاجاتهم بجانبي. وفي الأُفق استطعت رؤية أضواء مركز التسوق تشدني إليه. عندما أكون هناك يمكنني أن أشغل انتباهي بأشخاصٍ آخرين مع النظر إلى أشياء لا يمكنني شراؤها، أعلم أن هذا يبدو سخيفًا لكنه يجعلني أشعر بتحسن أكثر من وجودي بمفردي في شبه المنزل ذاك.

قفزتُ أسفل الطريق وعبرت بأشجار كثيفة زُرعت بشكلٍ دائري. ثم لمحت حركةً سريعةً. إذ عبر ظلٌّ كبير حجب الضوء فوقفت فجأة.

كان ذلك ظلّ ذيلٍ.

وسمعت صوتًا عاليًا يُشبه دقات القلب.

كان ذلك التنين فعلًا.

2

لم يكن هناك أحد سواي،كنت أنا وهي فقط.

في البداية شعرتُ بالخدر ولم أستطع التحرك. تجمدت وأنا أحدّقُ إلى تفاصيل التنين وحجمها، وبالطريقة التي انسابت بها إلى إحدى الزوايا بجانبي ولفَّت ذيلها بطريقةٍ كأنها مستعدة للهجوم.

شممت رائحةَ شيءٍ يحترق في الهواء أيضًا. كرائحة شعلة نار لكن أكثر حدَّة، مثل سمك مُتعفِّن على النار أو أي شيءٍ يمكنك التفكير فيه يجعلك تشعر بالغثيان. حاولت تجاهُل الروائح التي شممتها لأنني شعرت أن معدتي بدأت تضطرب وكنت على وشك التقيؤ.

خطر على بالي قصص الأشخاص الذين ماتوا بسبب التنين. فبعضهم سحقهم جسد التنين والبعض الآخر مات بضربةٍ من الذيل فقط. والبعض حُوصروا داخل دائرة نار ولم يتمكنوا من الخروج منها. لكن غالبًا ما تبقى بعيدة لذلك لا تقع تلك الحوادث كثيرًا. ورغم

ذلك، أقول لنفسي إنها تحدث عندما تقترب من مكان وجود الناس. ويبدو الأمر لا مفرّ منه.

هناك إجراءات لما يجب عليك فِعله إن اقتربت منك التنين، لكن ذهني يحاول أن يتذكر. هناك نوع من أناشيد الأطفال التي تعلمناها جميعًا عندما كُنّا أطفالًا، ولكن رغم أنني أستطيع تذكُّر اللحن، فإن الكلمات لا تحضر في ذهني. هل يجب أن أتجمد كما يفعلون أمام ديناصور تي ريكس في الأفلام، لأن بصره ضعيف جدًّا؟ أم أهرب كما ينبغي مع الدب؟ أو ربما هذا خطأ أيضًا، بالنسبة إلى الدب. هل يجب أن أتسلقَ شجرةً أو أصرخ طلبًا للمساعدة؟ لكن الحقيقة هي أنه ليس لديَّ خيار. أنا عالقةٌ هنا، متجمدة تمامًا. لا أستطيع أن أبتعد أو حتى أدير رأسي لأنظر إلى التنين مباشرةً. ولكن أستطيع الشعور أنها ما تزال هناك، وموجودة بجواري.

دقَّ قلبي بعنف وتذكرت وجه جورج عندما رأيتها في وقتٍ سابق في المستشفى. أرادت جورج رؤية التنين، أخبرتني قبل بضعة أسابيع أنها تريد رؤية التنين مجددًا قبل أن... لكن لا أريد أن أُنهي تلك الجملة.

رغم أنني أستطيع تخيل كيف كانت لتقولها جورج لو أنني تركتها تُكملها. كانت كالشعلة التي لا يُمكن إخمادها، ما يزال يمكنني سماع صوتها *يارا، أريد رؤية التنين قبل أن أموت.*

رغم أنها ما تزال أمامي يمكنني سماع نفسي أجيبها: «لا، لن تموتي. لن أسمح بحدوث ذلك».

قلتها بصوتٍ عالٍ كما لو كانت جورج أمامي.

استطعت أن أشعر بقوة مشاعري تنبض داخلي. كانت رغبتي بتعافي أختي مرة أخرى قوية للغاية. لا يسعني إلا أن أومن أن هذا سيساعدها بطريقةٍ ما، وأنه إذا فكرت بذلك وأردته بقوةٍ كافية فإنه سيساعدها.

لكن بمجرد أن خرجت الكلمة من فمي تحركت التنين. وبحركة سريعة التفتُّ حولي فكانت مثل جدار وحاصرتْني بجسدها.

وشعرت مرة أخرى أنني متجمدة خوفًا، والرائحة الكريهة تملأ فمي، وتلدغ عينَيَّ وأنفي.

استطعت أن أشعر بحرارتها أيضًا. وصلت إليّ على شكل أمواج كلما تموجتْ حراشفها أمامي. حاولت أن أتذكر بعض الحقائق التي أعرفها عن التنين، وكيف تتنفس من خلال الحراشف في جسمها، وكيف أن كل حرشف هو مُستقبِل استشعار. وتذكرت أبي وهو يشرح لي كيف أن الأمر يبدو كما لو أنها لا تملك دماغًا واحدًا فقط في رأسها، بل جسدها كله عبارة عن دماغ ضخم.

أخذت الحرارة تتزايد ببطء. بدايةً شعرت ببعض الارتياح والدفء، لو لم يكن ذلك ينبعث من مخلوقٍ قديم ومميت يحاصرني، ولكن الآن أستطيع أن أشعر أن الحرارة ترتفع كثيرًا وأن جسدي يشعر بالجفاف بسببها. أتساءل إن كان هذا هو الشعور الذي ستشعر به عند طهيك؟

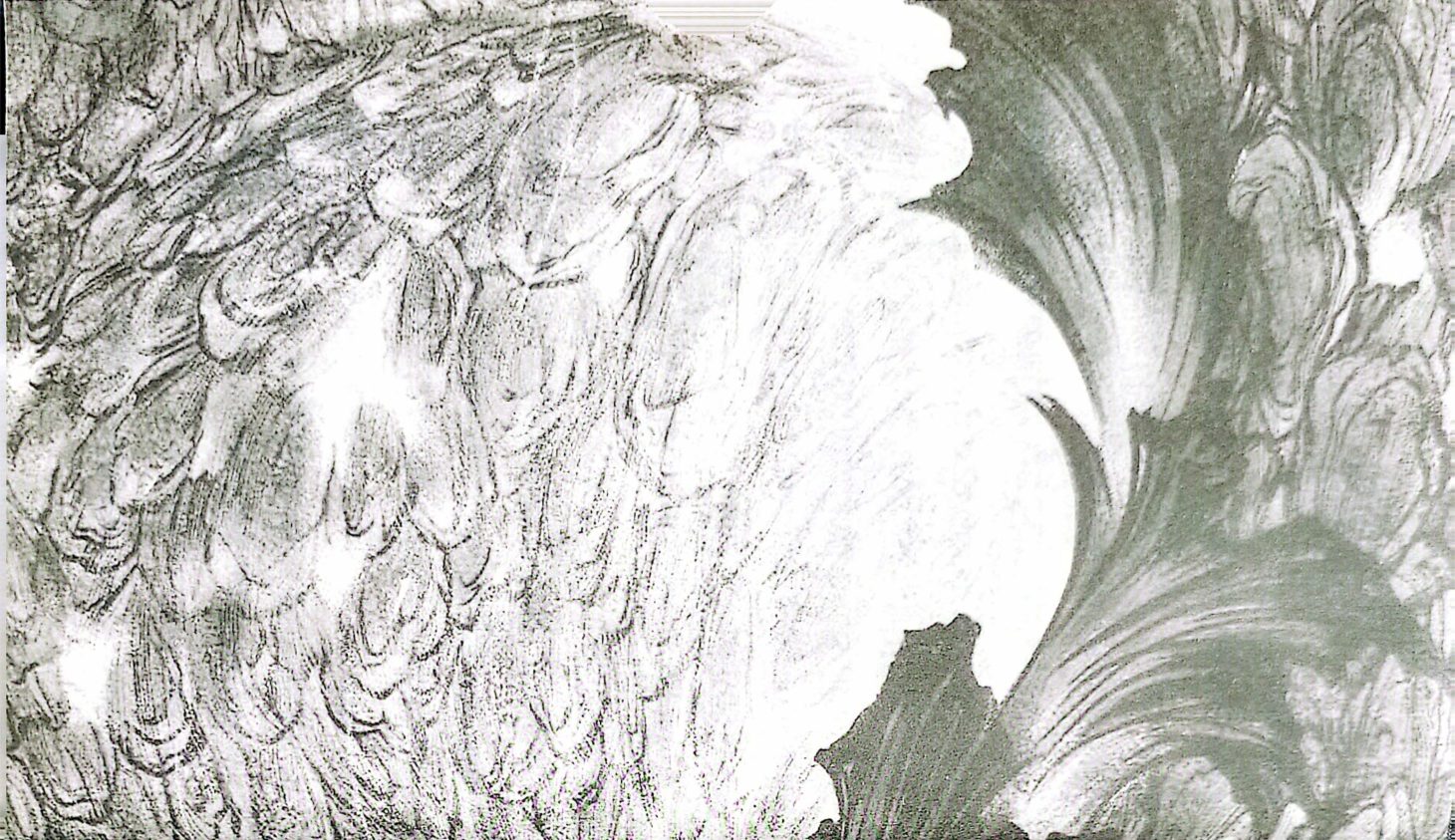

يمكنني بالتأكيد أن أستسلم هنا والآن، وأترك جسدي يذبل وينهار وجدران التنين هذه تحاصرني، لكن بدلًا من ذلك، أدركت، بينما شددت على قبضتَي يديَّ ورفعت رأسي إلى الأعلى، أن هناك شيئًا واضحًا جدًّا بالنسبة إليَّ: أريد القتالَ.

لن أذهب الآن، لن أترك جورج أو أمي أو أبي، أو أفوِّت مقاطع الفيديو السخيفة عن كلاب تقفز على مناضد الطعام. ولن أترك ذكريات مشرقة عن الفضائح التي تسببنا بها على الشاطئ. وهناك شيءٌ آخر أيضًا، أريد أن أجد الفتاة التي سأصير عليها، ما الذي ستفعله، وما الذي ستقاتل من أجله.

فتحت عينَيَّ بقوة ورأيت كيف تبدو حراشف التنين ممزقة عندما تتحرك. اعتادت الحراشف أن تكون لامعةً. رأيت صورًا قديمة لها تعود لما قبل ولادتي، كانت برَّاقة ومضيئة ولامعة، لكنها الآن باهتة مثل القطع النقدية البُنية، حوافها متآكلة وغير متساوية. استدرتُ لأفهم الجسم والحراشف حتى أحدِّدَ مكان الرقبة والرأس. فشهقت عندما أدركت أن رأس التنين هناك بجواري، مدسوسٌ على جسدها. ورأيت كرة كبيرة من عينٍ زُجاجية تحدِّقُ إلى وجهي مباشرةً.

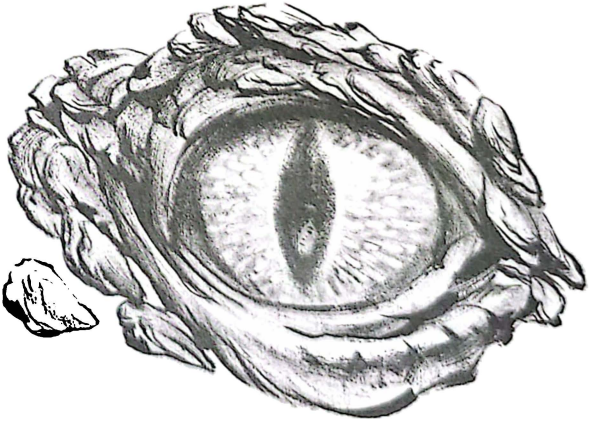

على عكس الحراشف، كانت العين لامعة أكثر من أي وقتٍ مضى. كانت قزحية العين محاطة بثقب الحدقة، اقتربت خطوة ورأيت كيف أن العين تُقرب الصورة مثل مجهر يُعدل عدسته ليركز عليّ.

بقيتْ هناك فكرة واحدة مشتعلة بداخلي وهي جورج. لن أموت يا جورج، وأنتِ لن تموتي. لن أتركِكِ ولن تتركيني. وعندما أخرج من هذا المأزق سأخبركِ بكل شيء لذا سيبدو الأمر كأنكِ معي.

حاولتُ أن أحفظ بتركيز التفاصيل التي أراها من أجلها. مثل تلك الرائحة القميئة التي تشبه رائحة براز الكلاب بجانب كومةٍ قديمة من القمامة النَّتِنة. سترغب جورج بمعرفة ذلك.

كان هناك أشكال مختلفة للحراشف: أحدهما يشبه الخطوط العريضة الحادّة للقارب، والآخر يشبه السحابة، والآخر ملتوٍ مثل جذع الشجرة، ولاحظت أن هناك عددًا منها مفقودٌ تمامًا. ومن خلال هذه الثقوب الكبيرة استطعت رؤية وهج الحرارة باللون الأحمر والبرتقالي داخل التنين. وأدركت أن التنين لا ينفث نارًا. التنين هو النار بذاتها.

لا أعلم كم بقيتُ أنا والتنين على هذا الوضع نحدّقُ إلى بعضنا بعضًا. رغم أنها حاصرتني بجسدها الذي التفَّ حولي، فإنني أدركت أنه حتى لو تمكنتُ من الابتعاد الآن وكان هناك مخرجٌ ما، لن أستطيع أن أبعد عينَيّ عن التنين.

بدا الأمر كما لو أننا مغناطيسان يجذب بعضهما بعضًا، أو مثل تِرسَين متماسكين معًا. أعلم أنها طريقة غريبة لوصف الشعور الذي أشعر به عندما أنظر إلى التنين، لكنني شعرت بشعورٍ في جسدي لم أشعر به من قبل. شعرت بطاقة، مثل نار التنين، لكن بداخلي، وليس بداخلها فقط، تسري في كل جزءٍ مني.

وشعرت أن نبضات القلب تلك، أصبحت أعلى من أي وقتٍ مضى، ومع كل نبضة شعرت كأن جسدي يزداد قوةً بطريقةٍ أو بأخرى، كأنني أصبحت أطول، وكتفاي أصبحتا أعرض، وساقاي تنطلقان للأعلى.

كان هناك جزءٌ مني خارج كل ما يحدث حولي تقريبًا يقول *تمالكي نفسكِ يا يارا، أنتِ تشعرين بالغرابة لأنكِ محاصرة من قِبل التنين الأخير والوحيد الذي عرفتِه على الإطلاق*. والجزء الآخر من عقلي كان بطريقةٍ ما يتخيل أشياءَ ويشعر بالقوة.

ثم نهضتُ وكانت ضخمة جدًّا، عندما جلست بهذه الطريقة ارتفعت فوقي. كانت

باسقة للغاية وأكبر حجمًا من أي شيء تخيلته من قبل، حتى إنها كانت أكبر من الرسوم البيانية. شهقتُ عندما رأيت حجمها. يعادل حجم تيلدي حجم مبنى مكون من خمس شُقق سكنية. لكن يمكنها تقليص حجمها وتصبح بصغر شاحنة عندما تريد. لطالما استبعدتُ تلك الفكرة بسبب صعوبة تخيُّل صحتها. لكن الآن رأيت كيف التفَّت حولي وارتفعت فوقي، الآن أعلم أن ذلك صحيح.

أغمضت عينَيَّ للحظة، أنا متأكدة أنها على وشك الطيران بعيدًا. صوت ضربات القلب بدا أقوى وأسرع ووصلت إلى نقطة كنت متأكدة أنها ستفتح جناحيها القويين وتحلق.

أنا متأكدة أنها ستغادر، أنا أعيش تلك اللحظة بالفعل. تخيلت أنني أضغط على نفسي وأقول كم كان الأمر وشيكًا وأنني أعيد سرد ما حصل لجورج. تخيلت كيف ستتغير تعابير وجهها عندما تسمع أنني لم أرَ التنين فحسب بل كان هناك هذا النوع من اللقاء بيننا. وأنني خِفتُ للحظة من أنني لن أتمكن من الهروب. والشعور الغريب الذي شعرته عندما نظرتُ إليها ونظرت إليَّ.

لكن ازدادت ضربات القلب وتسارعت وشعرتُ بحرارة تأتي من أمامي. فتحت عينَيَّ لكن أغمضتهما بسرعة عندما ظهرت غشاوة ملتهبة، حمراء، حارّة.

أنا مخطئة، لم يكن ذلك وشيكًا، إذ رأيت أمامي كرة نارية متجهة نحوي. رأيت كم كانت

قريبة لذا لا مجال للهرب منها أو تفاديها. رغم تأكدي من أنني سأنجو من ذلك بطريقةٍ ما، فإنني أشعر أن الوقت قد تأخر على ذلك. أبقيتُ عينَيَّ مغلقتين بقوة وشعرت أن قبضتَي يديَّ مغلقتان بقوة كأنني مستعدة للقتال. سمعت صوت أنفاسي وآخر زفير عندما شعرت باللهب يقترب ليحرقني.

فكرت مجدَّدًا بجورج وأمي وأبي، لكن هذه المرة وأنا أقول الوداع آمل أن تخرج مني هذه الرسالة بطريقةٍ ما وتصل إليهم. إنني أحبهم وإنني آسفة وإنه كان ينبغي أن أبقى بتلك الشقة المريعة بمفردي. لكن سينتهي كل شيء؛ إذ ينبغي للَّهيب أن يصلني الآن.

سمعتُ نفْسِي آخذ نفسًا وأخرِجه بسرعةٍ كبيرة وفتحت عينَيَّ.

ذهبت التنين، لكنها وضعت أمامي على بُعد مترٍ واحد من حذائي المدرسي الأسود بيضة تنين بيضاء وبيضاوية الشكل.

3

قبل أن تسوء حالة جورج، ذهبنا جميعًا في رحلةٍ عائلية إلى متحف التنين في إدنبرة عندما زرنا اسكتلندا في عطلة.

يوجد عدد لا بأس به من متاحف التنانين في المنطقة، لكن متحف إدنبرة هو الأفضل لأنه يضمُّ في مجموعته المثال الوحيد لبيضة التنين في أوروبا. يوجد بيضات للتنين ولكن بأعدادٍ أقل في أماكن أخرى في العالم، لكن عطلاتنا لم تمتد قطُّ إلى كوريا أو نيوزيلندا أو سومطرة.

كانت جورج متحمسة جدًّا للرحلة بأكملها. بحثتْ عن المعروضات قبل أن نصل إلى هناك وعرفتْ بالضبط ما تريد رؤيته أولًا؛ حتى إنها عرفت الأبواب التي علينا عبورها للانتقال من معرضٍ إلى آخر.

كان هناك طوابير رغم وصولنا باكرًا، لذا جُعنا من طول انتظارنا وشعرنا بالاستياء من بعضنا بحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى البوابة.

اقترحت أمي عندما حصلنا أخيرًا على البطاقات وكنا نَتَدَافَعُ عند مدخل الرَّدْهَة الكبيرة: «لماذا لا نذهب إلى المقهى أولًا؟».

ردَّت جورج دون أن تنظر إليها: «هذا مستحيل، البيضة».

رددتُ أنا: «البيضة».

وكرر أبي: «البيضة».

هتفنا معًا: «البيضة»، ثم بدأنا في الضحك بينما واصلنا الصراخ على طول الطريق نحو الغرفة الصحيحة: «بيضة! بيضة! بيضة!».

تبعتْنا جورج التي انطلقت في هذا الاتجاه وذاك، وهي تصرخ: «البيضة» طوال الطريق. حتى أمي انضمت إلينا في الوقت الذي وصلنا فيه، لاهثين، إلى طابورٍ طويل آخر لدخول غرفة البيضة.

قلت متذمرة وأنا أستند إلى الحائط: «من الأفضل أن يكون ذلك يستحق العناء».

ولم يتحرك الصف قبل مرور عشر دقائق.

ردَّت جورج: «يستحق كل هذا العناء، فتلك بيضة التنين الوحيدة التي سنراها بحياتنا. لذا الانتظار بعض دقائق أمرٌ لا بأس فيه».

صرخت قائلة: «لقد مضى ساعتان بالفعل».

لكن تجاهلتني جورج وحدَّقت إلى الأمام.

تحرك الصف ببطء ولعبنا مليون مرة لعبة «ما رأته عيناي» إلى أن عجزنا عن معرفة الإجابة عندما حان دور أبي، كنا نبحث عن شيء يبدأ بحرف الألف.

اقترحت أمي: «إصبع».

تأوهتُ قائلة: «جربنا ذلك بالفعل».

صرخت جورج: «أنشوجة».

رددت بسرعة: «لا يوجد سمك هنا».

لكن في تلك اللحظة بدأ إنذار الحريق يدوّي فوقنا.

قال أبي مشدوهًا: «ذلك إنذار حريق».

بدأ المرشدون في توجيهنا إلى أسفل الممر الذي مررنا به ببطء في أثناء انتظارنا.

قالت أمي: «آسفة يا فتيات يبدو أن هذا اليوم ليس يوم حظنا، أليس كذلك؟».

كنا قد بدأنا في العودة نحو الرَّدْهَة عندما شعرتُ بجورج تمسك بيدي. ضغطت عليها بقوة، وعندما نظرت إليها، اعتقدت أنني سأرى خيبة أملها، وأنني سأرى تجهُّم جورج المعتاد عندما لا تسير الأمور لصالحها، ولكن بدلًا من ذلك كانت عيناها مضاءتين، وضحكت

بطريقةٍ مائلة كما اعتادت أن تضحك قبل أن تفعل شيئًا متهورًا. حدَّقت إليّ وحرّكت شفتيها دون أن تصدر أي صوت: «اتبعيني».

هززت رأسي بعنف، لن نتمكن من التسلل، لكن جورج ببساطة ابتعدت عني وانخفضت بسرعة تحت أذرع الأشخاص الذين كانوا حولنا وانسلّت خلف ظهورهم. نظرت إلى الأعلى لفترةٍ وجيزة إلى أمي وأبي اللذين كانا يحدّقان إلى الأمام، محاولَين إيجاد طريق وسط الحشد الكثيف.. لم أرغب حقًّا في تركهما أو الضياع، لكنني لم أتمكن من السماح لجورج بالذهاب بمفردها ولذلك همست بأننا سنجدهما لاحقًا ثم حاولت اللحاق بجورج التي كانت تواصل شقّ طريقها عبر متاهة الحشود.

عندما وصلنا تقريبًا إلى بداية الصف، سحبتني جورج نحو المدخل، وانعطفنا عند الزاوية منتظرين خلوَّ الممر من المارّة.

همستُ لجورج: «ما الذي تفعلينه؟».

ردَّت دون أن تنظر إليّ: «وماذا تظنين؟ قد تكون هذه فرصتنا الوحيدة لرؤية البيضة».

- لكن قد نقع بمشكلة.

- يمكنكِ العودة إن أردتِ.

لذا لزمت الصمت.

بقيتُ معها بالطبع، واعتقدت أنني استطعت سماع أهلنا ينادوننا «ديارا! جورج! يا فتيات! أضعنا الفتيات!» لكن في اللحظة التالية لم أستطع التأكد ما إذا كنت قد تخيلت فقط صيادهم وسط الضجيج.

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ قبل أن نسمع موظفي المتحف يقتربون من مخبئِنا ثم ركضنا بسرعةٍ نحو معرض البيض. كنت أنتظر صيحةَ أحدٍ لكي يوقفنا، لكننا تسابقنا إلى أن وصلنا إلى هناك، واقفتَين أمام البيضة، وليس هناك أحدٌ غيرنا يستمتع بالمنظر.

كانت البيضة في علبةٍ زجاجية سميكة، وكانت موضوعة على إطارٍ أسودَ مهيب الشكل.

همستِ جورج، كما لو كان الإطار نفسه مجرد كائن مُقدس: «هذا هو حامل البيض الخاص المصنوع من التيتانيوم، الذي يتحمل درجات الحرارة العالية جدًّا التي يمكن أن يتعرض لها».

بدت البيضة نفسها، بالنسبة إليّ، عادية للغاية. كان لونُها أبيضَ مائلًا للصُّفرة، على الرغم من أنه عندما نظرت عن كثب تمكنت من رؤية بقع بنية دقيقة هنا وهناك.

سألت: «ولماذا ترتفع درجة حرارتها إن لم يكن يوجد شيء بالداخل؟».

– لا أحد يعرف حقًّا، هذا لغزٌ آخر غير مُفسَّر. مثل السؤال عن سبب عدم وجود أي شيءٍ داخل البيض منذ أن فقست تيلدي عام

1901. ويعتقد الكثير من الناس أن البيض يتمتع بصفاتٍ خاصَّة، مثل امتلاك قُوى شفاء أو يجعلكِ قويةً للغاية.

- ماذا؟ لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا.

- لم يُثبَت أيُّ شيء بالطبع، وأعتقد أن القوى غامضةٌ. كأنهم يفقدون قوتهم مع مرور الوقت. لأن بعض الناس يُقسمون أنهم تحسَّنوا بالاقتراب من البيضة، لكن البعض الآخر لم يستفِد على الإطلاق.

قلت وأنا أنظر بشكٍّ إلى البيضة المرقَّطة قليلًا: «يبدو الأمر مُختلقًا بالنسبة إليَّ».

- لم يفقس بيضٌ كافٍ لإجراء الأبحاث، وهذه مشكلة أخرى. الشيء الوحيد الذي يمكن أن يتفق عليه الجميع هو أن مجموعة البيض التي وضعتها تيلدي كانت كلها فارغة.

ألقيتُ نظرةً خاطفة ورأيت أن هذا الجزء من المعرض يضم جهازَ مسحٍ من نوعٍ ما حيث يمكنك رؤية البث المباشر لما يوجد داخل البيضة. فظهر شكل مُشعٍّ، وألوان تتحرك وتتغير.

سألت جورج وأنا أشير إلى الألوان المتحركة: «وما كان ذلك؟».

- هذا يقيس درجة الحرارة، لا بدَّ أن يكون هناك ارتفاعٌ مفاجئ، وهذا هو سبب انطلاق الإنذار.

سألت بصوت يَشُوبه القلق: «وهل تسخن البيضة الآن؟».

ردَّت جورج باستهجان: «بالطبع، ألا تشعرين بذلك؟».

ركضنا كل الطريق لذا ظننت أن هذا سبب شعوري بالدفء لكن بعد أن قالت جورج ذلك استطعت الشعور بالحرارة تتزايد وتأتي من البيضة نفسها.

كان جهاز التدفئة يعمل بكامل طاقته. في البداية كان دافئًا للغاية ولكن بعد ذلك جاء التهديد بأن الحرارةَ سوف تزداد وترتفع وتُسبّبُ حريقًا.

سحبتُ جورج من كُمّ قميصها وقلت: «جورج، يجب أن نذهب، لا ينبغي أن نكون هنا إن أصبحت البيضة بهذه السخونة. ماذا لو أشعلت النار في شيءٍ ما؟».

قلّبت جورج عينيها وأردفت: «هذا نادر الحدوث. أخلوا فقط لأنه بروتوكول. لم يكن هناك حريق منذ سنوات».

لم تكن هذه المرة الأولى التي تساءلت فيها كيف كانت أختي واثقة من نفسها إلى هذه الدرجة. شعرتُ بالشك، والقلق، والخوف. لم أستطع التوقف عن التفكير في أمي وأبي ومدى ذُعرهما من اختفائنا. سيبحث الحراس عنّا الآن أيضًا، وسيجدوننا في أي لحظة.

لكن جورج كانت مركزةً على البيضة. كانت عيناها كبيرتين، مثل البيضة. كانت مُنتبهةً على كل شيء، بكل تفاصيله الدقيقة. لكن ذلك لم يكن كافيًا. خطت خطوةً إلى الأمام، ثم خطوة أخرى، ثم تسلّقت دون عناء فوق الحاجز المحيط بالعلبة، ومدّت يدها نحو الزجاج.

وكما لو أن البيضة يمكن أن تشعرَ بها وكما لو أن تلك البيضة الفارغة البالغة من العمر خمسين عامًا كان لها دماغٌ خاص بها، فقد بدأت تتوهج مع اقتراب جورج منها.

صرختُ: «جورج توقفي! لا تلمسيها!».

لكن جورج إمَّا لم تسمعني وإمَّا لم تُرِد ذلك، لأنها خطت خطوة أخرى إلى الأمام، وكانت أصابعها على بُعد سنتيمترات فقط من الزجاج.

كان هناك إنذارٌ آخر ينطلق الآن أيضًا، أعتقد أنه كان نوعًا من أجهزة الاستشعار لأن جورج قد تجاوزت الحاجز. حاولت منعها مجددًا: «من فضلكِ يا جورج توقفي».

ومن دون تفكير، قفزت متجاوزةً الحاجز، وعندما فعلتُ ذلك، اشتعلت النيران في البيضة.

تدحرجت بيضة التنين، التي أصبحت عند قدميّ، بلطف من جانب إلى آخر، واندفعت نحوي بضعَة سنتيمترات أخرى عبر العشب الكثيف.

تفحصتْ عيناي السماء ولمحتُ تيلدي العجوز وهي تطير. انتشرت أجنحتها الممزقة على نطاقٍ واسع، وتحركت بسرعة مدهشة، وفي لحظة تذكرت الشاطئ مرة أخرى عندما كنت مع جورج وتذكرت تفصيلًا كنت قد نسيته: الطريقة التي بدا بها جسدها الرَّمادي القديم ينطلق بعيدًا بعد أن سمعنا نبضات قلبها، وتندفع بسرعةٍ كبيرة لدرجة أننا شعرنا بالهواء يندفع بقوةٍ فوقنا. كان شعرنا يتطاير إلى الخلف. كانت سريعة جدًّا لدرجة أنني اعتقدت أنها كانت تسير ببطءٍ شديد عمدًا عندما كانت فوقنا مباشرةً، رغم أنه بدا من غير المُرجَّح أنها كانت على علم بوجودنا على الإطلاق.

عادت لي ذكرى أخرى من متحف التنين الذي زرناه في اسكتلندا. عرضٌ حول سُرعات تيلدي مع صور لجميع أنواع وسائل النقل المختلفة المرسومة بشكلٍ ظِلّي على الحائط. طائرة هليكوبتر،

وطائرة مقاتلة، وأشياء من هذا القبيل، وأمامهم جميعًا كانت صورة تيلدي العجوز. إن أرادت، يمكنها أن تكون أسرع من أي وسيلة نقلٍ موجودة.

ثم بيضة التنين نفسها التي تسلّلت جورج من أجلها بدت عادية وطبيعية في إطارها الأسود المضحك وعلبتها الزجاجية الفاخرة والحواجز المحيطة بها. اعتقدتُ أنها تبدو صغيرة جدًّا بحيث لا يمكن اعتبارها بيضة تنين فعليّة، حتى إنني تساءلتُ عمّا إذا كانت حقيقيّة بسبب حجمها -كانت بحجم كرة قدم- وكانت قشرتُها تمامًا مثل بيض الدجاج الأبيض الذي يمكنك شراؤه من المركز التّجاري.

من الواضح أنها عندما أشعلت النار في نفسها،كان ذلك مؤشرًا على أن البيضة لم تكن مزيفة. لم أكن لأصدق أنه يمكنها فعل ذلك، لو لم أرَ ذلك بأمِّ عينيّ وأشعر بحرارة اللهب على خدي بينما كنت أجذب جورج بشدة لكي نغادر المكان. ولكن قبل ذهابنا، كان هناك صوت كسر، فالتفتُّ لأرى أن القشرة قد انقسمت إلى نصفين واشتعلت النيران فيهما. وكما قالت جورج، لم يكن هناك أي شيءٍ بداخلها على الإطلاق.

ركضنا عائدتَين بالطريق نفسه الذي أتينا منه، ممسكتين بأيدي بعضنا بعضًا، ويمكنني أن أقول إنه حتى جورج كانت مرعوبة بعض الشيء بشأن ما حدث. تفاجأ حراس المتحف برؤيتنا نركض في مكانٍ

ينبغي أن يكون فارغًا، لدرجة أنهم وقعوا في حالة من الارتباك، لذا قبلوا قصة جورج التافهة عن أننا خُوصرنا في المراحيض. عثرنا على أمي وأبي بسرعة بعد ذلك وكانا مرتاحين للغاية لرؤيتنا لدرجة أنه على الرغم من أنهما لم يصدقا القصة، فإنهما لم يدفعانا لإخبارهما بما حدث. ليس في البداية، على أي حال.

في اليوم التالي، عندما كان مقررًا أن نعود للمنزل، جاء فريق من فرقة اكتشاف التنين واستجوبونا لساعاتٍ حول ما حدث في المتحف. تعقبونا من كاميرات المراقبة في المتحف وأظهروا لنا لقطات ونحن نركض بسرعة إلى معرض البيض، ثم كيف كنا أنا وجورج قريبتين جدًّا من البيضة عندما اشتعلت واحترقت قبل أن تنكسر إلى نصفين.

لقد أظهروا لنا الفيديو فقط بعد أن انتهينا من سرد قصتنا. وجعلونا نروي ذلك مرارًا وتكرارًا حتى إنَّني بدأت أشكُّ وأتساءل عما إذا كنت أتذكر ما حصل. أرادوا معرفةَ كل شيء، بدءًا من عدد السنتيمترات التي كنا نقف فيها بعيدًا عن البيضة عندما كنا قريبتين منها، وحتى الوصف بالتفصيل كل مستوى حرارة شعرنا به.

فصلونا أنا وجورج،كانت أمي مع جورج وأبي معي. في البداية حاول أبي الدفاع عني عندما اتهموني بالتسلل إلى الخلف، لكنه صمت عندما عرضوا تسجيل الكاميرا أمام البيضة.

سألت جورج بعد ذلك: «لماذا سألوا هذا الكم من الأسئلة إن كان معهم تسجيل الكاميرا؟».

ردَّت أمي: «لأنهم يحبون قوتهم».

سألت جورج: «ماذا تعنين بذلك؟».

- لم يعجبني طلبهم منكِ إعادة سرد ما حصل. جعلني ذلك أشعر أن لا شيء يشغلهم سوى محاولة استجوابنا.

أخبرتني جورج لاحقًا أن أمي اعترضت على جميع الأسئلة المطروحة في جلستهما.

قال أبي: «إنهم فقط يعملون».

ردَّت أمي باقتضاب: «لا يُعجبني عملهم».

- لماذا لا يمكنهم ترك التنين بسلام. فهي لا تسبب أيَّ ضرر لأي شخص. لا تحدث الحوادث إلا عندما يحاول الناس تتبعها.

سألت: «أهذا صحيح يا أمي؟».

- نعم بالطبع. فهي تحاول فقط العثور على مساحةٍ صغيرة يمكنها فقط... الوجود فيها. دون أن يزاحمها الجميع في تلك المساحة الصغيرة من العالم التي ما تزال خطِرة. الشيء نفسه يحدث لكل الحيوانات البرية هناك. لكن التنين فقط هو الذي حصل على أكبر نادي معجبين.

قالت جورج فجأة: «هل تظنين أنه سيكون هناك المزيد من التنانين لو كان هناك أماكن أكثر يمكنهم العيش فيها؟».

ردَّت أمي: «بالتأكيد، ولكن رغم أن الناس يقولون هذا، أو يعرفون أن هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي القيام به، فإن ذلك لم يمنعنا من تقليص المزيد والمزيد من المساحات البرية وبالتالي يصبح كلُّ شيءٍ بداخلها مضغوطًا أكثر فأكثر».

بدت جورج في حيرةٍ من أمرها وقالت : «يبدو أن الوضع ميؤوس منه».

قالت أمي: «لا، بل العكس تمامًا. لأن هذا الخيار ما يزال موجودًا، يمكننا إعادة التأسيس، يمكننا إعادة الحياة البرية. والأشياء تعود. هناك الكثير من الأمثلة على ذلك. في أمريكا الجنوبية، أنشؤوا ممراتٍ خضراء تربط الغابات المطيرة التي ما تزال قائمة، وزادت أعداد الحيوانات من الكثير من الأنواع المهددة بالانقراض في غضون عامَين فقط».

سألت جورج: «هل تظنين أنه ما يزال هناك أملٌ بعودة التنانين؟».

- ربما فات الأوان على التنانين. لكنني أعتقد أنه إذا أُجريت التغييرات الكافية، فقد يكون هناك أمل دائمًا. ينبغي أن يكون هناك أمل وعمل.

أستطيع أن أرى عقل جورج يطنُّ بشدة. كانت تفكر في الإجراء الذي يمكنها اتخاذه، وما يمكنها القيام به لتبني عالمًا تطير فيه التنانين، ليس فقط تيلدي العجوز، بل أيضًا عائلات وقبائل بأكملها تملأ السماء.

هنا، في الحديقة، أستطيع أن أرى وهج مركز التسوق بالجوار وبيضة التنين بجواري. فكرتُ فيما قالته أمي، وفيما كتبته جورج على جدار غرفة نومها في تلك الليلة...

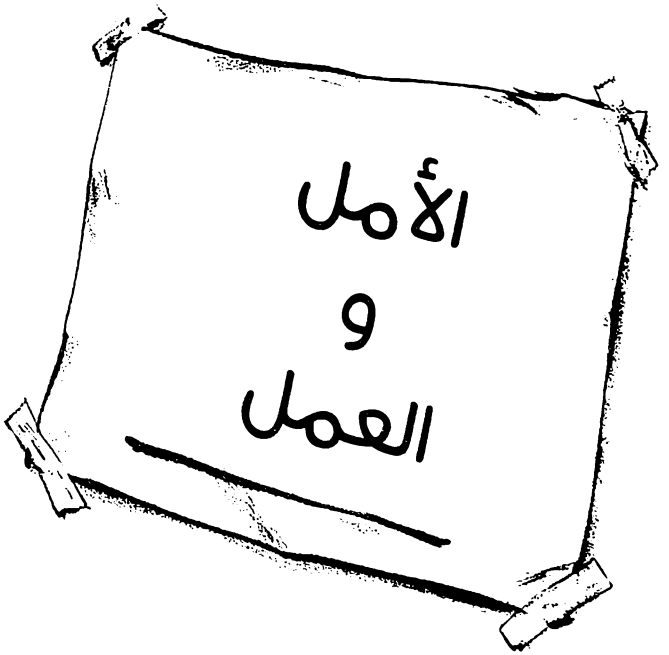

4

أول ما خطر على بالي هو الابتعاد وترك البيضة التي تضغط على جانب حذائي وسط الحديقة. كانت تمامًا مثل البيضة الموجودة في المتحف، بدت عادية تمامًا، رغم أنني تجمدتُ هلعًا، قلقت حتى من تحريك قدميّ خوفًا من حدوث شيءٍ ما مثل أن تشتعل فيها النار فجأة.

ألقيتُ نظرةً على كل ما حولي، ولكن رغم تمييزي لأصوات الناس من بعيد، فإنني لم أستطع رؤية أيِّ شخصٍ حولي.

ببطء، تراجعت إلى الوراء، بحيث توقف حذائي عن ملامسة البيضة، لكن الأرض لا بدَّ أن تكون مائلة لأنها كانت ببساطة تتدحرج للأمام وتتوقف عند ملامسة حذائي مرة أخرى.

عُدت بذاكرتي لما قالته أمي عن حاجة التنين إلى المزيد من الأماكن البرية ليعيش فيها، وأنه إذا كانت موجودة تلك المساحة، فربما لن تكون نهاية التنانين ولن تكون تيلدي الأخيرة.

لكنها وضعت بيضتها بالقُرب من أحد أكثر الأماكن ازدحامًا في المدينة. فهناك في مركز التسوق القريب من هنا تجمَّع حشود أكثر من أي مكانٍ آخر في ميلتون كينز. ربما يرجع ذلك إلى شعورها أن العالم يبدو صغيرًا ومضغوطًا. هذه الحديقة بالنسبة إليها هي مثل جزيرة أو ملجأ، من بين جميع الأماكن.

حركت قدميّ مرة أخرى، لكن كما لو أنها ملتصقة بي، تدحرجت البيضة نحوي مرة أخرى، وبالتالي ظلَّت مُلامِسة لحافَّة حذائي. أعلم أنه يمكن أن تكون البيضة فارغة، لكن شعورًا يراودني: ربما أستطيع حمايتها، ربما أستطيع أن آخذها إلى مكانٍ بريٍّ حيث يمكن أن تفقس.

لكن في اللحظة التالية، تبخرت هذه الفكرة، حيث لم يعد لديَّ أدنى شك في أنني لست وحدي. ملأ ضجيجُ طنينٍ الهواء فوقي. عندما نظرت إلى الأعلى، رأيت طائرة هليكوبتر كبيرة تحلِّقُ فوق الحديقة، ومع اقترابها، كان من الواضح أنها ستهبط بالفعل في الحديقة.

ملأ صوت شفرات المروحية المكان، وبينما تَدَافَع الأشخاص بداخلها، استطعت أن أخمّنَ على الفور من زيهم الرسمي والطريقة التي ينظرون بها في كل اتجاه أنهم فريق من فِرق اكتشاف التنين. بدوا لي مثل العناكب، بالطريقة التي يهرعون بها عبر الحديقة. لن تمر سوى دقائق قليلة قبل أن يصادفوني، حتى يعثروا على البيضة.

نظرتُ إلى البيضة مجددًا، التي ما تزال مستندة إلى جانب حذائي. فجأة بدت ضعيفةً، وليست بقوة الأجساد الغامضة المتناثرة لفرقة اكتشاف التنين.

استطعتُ سماع أفراد الفرقة ينادون بعضهم بعضًا؛ هم قريبون بدرجةٍ كافية الآن حتى أتمكن من فَهْم أجزاء مما يقولونه وتناهى إلى مسمعي شخصٌ يقول بشيءٍ من اليقين: «مَن هنا؟».

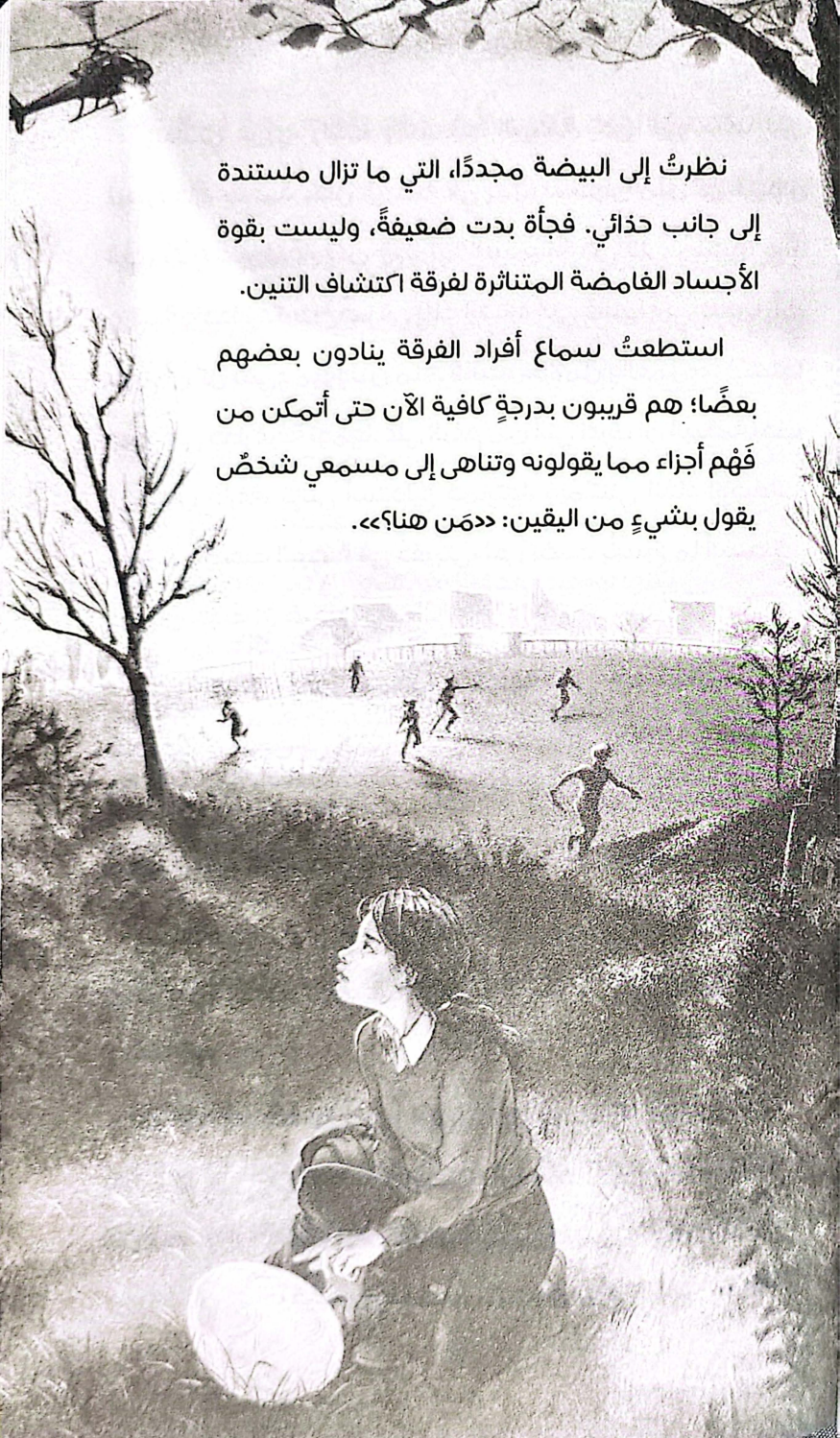

وبشكلٍ غريزي، ركعت والتقطت البيضة. كان الجو دافئًا لكن ليس حارًّا، شعرت بثقل البيضة في يديّ. ستكون مثل كل البيض الذي اكتُشف، فارغًا، لكن قشرتها السميكة هي التي منحتها وزنًا. ولثانيةٍ واحدة، فكرت أيضًا في تلك العبارة التي قالتها أمي عندما رأت جورج أن كلّ شيءٍ ميؤوس منه. قالت: «الأمل والعمل»، فكتبتها جورج على جدار غرفة نومها. على الرغم من أنني أعرف أن البيضة يجب أن تكون فارغة، فإنني أستطيع حمايتها، ويمكنني اتخاذ الإجراءات اللازمة. وضعت البيضة في حقيبتي، ثم ركضت بأسرع ما أستطيع، دون أن أُحدثَ أيّ ضجيج.

كانت هناك بعض الشجيرات القريبة على بُعد خطوات مني عند وصول الفريق إلى المكان الذي غادرته للتوّ. تجولوا في الفضاء، رؤوسهم للأسفل، وينظرون باهتمام إلى الأرض. استطعت أن أسمع ضجيج أجهزة الراديو الخاصة بهم، وهناك الكثير من الثرثرة.

كان هناك رجلٌ ضخم ذكّرني بآلة الكمان يمشي خلف المجموعة ويتفحّص المشهد. كانت عيناه تبحثان في الأرض وكان يومئ برأسه إيماءات غير ملحوظة.

قال بنبرةٍ هادئة على جهاز الراديو: «توجد بيضة تنين»، وأشار نحو الأرض إلى شيءٍ لم أَلْحَظه بينما كانت البيضة بجوار قدميّ. رأيت من خلف أوراق الشجر، كيف كانت الأرض مكان ما وقفت. لم أدرك حتى إنه كان هناك خطٌّ من العشب المحروق الذي صنعته البيضة

عندما تدحرجت نحوي وكانت الأرض محروقة ورَمادية في المكان الذي أحاطت بي التنين.

بدا الفريق مهتمًّا جدًّا بالخط وأين ينتهي، وقد أذهلني أن المسار المحروق للبيضة يكشف عن أن البيضة توقفت في مكان، ثم حُملت وأُخذت بعيدًا.

لكن، في تلك اللحظة بالذات، سمعت صوتَ انقضاض مندفع وأدركت أنها تيلدي نفسها، تطير في الهواء. غطست بسهولة من جانب الفريق لكنها توقفت بعد ذلك في الثانية الأخيرة بانعطافٍ سريع وأنيق، وانزلقت متجاوزة الأشجار وركض الفريق بأكمله خلفها.

ركض الجميع باستثناء ذلك الرجل الضخم. لم أستطع رؤية وجهه لأنه لم يكن قريبًا. لكن رأيت كيف ركع عند خط العشب المحروق، في المكان الذي تنتهي عنده آثار الحرق. ونظر إلى الأعلى، إلى الأعلى تمامًا، تقريبًا في المكان الذي كنت أختبئ فيه.

جفلت. فتراجعت للخلف، لكنني متأكدة من أنه لمحني. وفجأة سُمع صوت زئيرٍ عالٍ غريب للغاية.

كان صوتًا لم أسمع مثله من قبل،كان مثل شيءٍ غاضب وضخم، لذا ظننته شخصًا يصرخ بكل قوته. ثم استُبدل الزئير بصوتٍ آخر: طقطقة نار ولهيب، يمكنني رؤية ضوئها القوي من مسافةٍ بعيدة.

سُمع صوت الزئير في كل مكان، وركض الرجال نحو النيران المتصاعدة. وبينما تتبعوا التنين وحلقة النار التي أشعلتْها، انزلقتُ أنا بعيدًا.

5

أُدرك بشكل جَلِيٍّ وجود البيضة في حقيبتي عندما فتحت باب مركز التسوق وحاولت أن أضيع وسط الحشود. أستطيع أن أتخيل بوضوحٍ أنها تحترق في حقيبتي، وأن هناك جزءًا مني يريد رمي الحقيبة بعيدًا عني. لكن، حتى هذه اللحظة، لم أشعر بحرارةٍ قادمة من حقيبة ظهري ولذلك حاولت التنفس بعُمقٍ ومواصلة المشي.

كان هناك بعض الناس يندفعون نحو المخرج؛ لا بدَّ أنهم سمعوا أن تيلدي كانت هنا، كما أشعلت في ميلتون كينز حلقةً نارية أيضًا! أي لم يكن الأمر مجرد رؤيةٍ بعيدة للتنين.

أتصور أنهم في الوقت المناسب، سيطوقون المنطقة. وسينظمون طوابير طويلة، ويضعون لوحة، أو منحوتة. لكن في الوقت الحالي، لا يوجد سوى ألسنة اللهب تتجه نحو السماء. اختفت

تيلدي منذ فترة طويلة. رأيتها تنطلق باتجاه مستشفى جورج ثم تبتعد أكثر وأكثر، وينتابني شعور أنني لن أراها مرة أخرى.

لديَّ فكرة أخرى، رغم أنني متأكدة من أنها لا يمكن أن تكون صحيحة فإنني أظن أنها تعمدت العودة لإشعال حلقة النار حتى أتمكن من الهروب بالبيضة، حتى لا يجدها أحد. أعلم أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا. كيف يمكن أن تكون لديها أي فكرة عما تنوي فرقة اكتشاف التنين فعله وما نواياهم؟ هذا مستحيل مثل تخيل أنها تعمدت إحضار البيضة لي. أعلم أنها كلها مجرد أحداث عشوائية، لكن كل ما يمكنني التأكد منه هو وجود بيضة تنين حقيقيّة جدًّا في حقيبتي الآن، بينما أسير بالقرب من المتاجر وأحاول أن أضيع بين حشودٍ من الناس الذين يتجولون مع أكياس التسوق الخاصة بهم.

أشعر بالحماقة الآن لأنني أخذت البيضة وأحاول أن أفهم لماذا فعلت ذلك. هل أعتقد حقًّا أنني أستطيع حمايتها؟ ولماذا سأنزعج إن علمت أنها ستكون فارغة على أي حال، مثل كل البيض الذي سبقها؟

أستطيع أن أشعر بنفسي أمشي بسرعة متجاوزةً كل مَن حولي؛ وأغوص بين الفجوات التي تضيق باستمرار بين الحشود. ليست لديَّ أي فكرة إلى أين سأذهب، لكنني أشعر أيضًا بنوعٍ من الطاقة الجديدة بداخلي، تدفعني إلى الأمام، بشكلٍ أسرع وأسرع. كنت أمشي بسرعةٍ كبيرة لدرجة أنني في البداية لم أَلْحَظ بعض الأشخاص من المدرسة، يتباطؤون ويصطفُّون في أحد المخارج، حول إحدى جولات السيارات الصغيرة التي يرغب الأطفال الصغار دائمًا في ركوبها.

رأيت ثلاثة أولاد تبدأ أسماؤهم جميعًا بحرف الميم، لكنني لا أستطيع تذكُّر أكثر من ذلك، إضافةً إلى عددٍ قليل من الصبية الآخرين الذين أعرفهم أيضًا، من صف اللغة الإنجليزية الذي يُدرسه السيد لوتون. هناك شيءٌ ما في الطريقة التي يتحركون بها جعلني أتوقف عن الهروب لثانيةٍ واحدة فقط. لا أستطيع أن أفكر للحظة ما هو، ثم عرفت. فالأمر كما في كل تلك الأفلام الوثائقية عن الطبيعة، التي تحبها جورج كثيرًا، هم مثل الأسود، أسود في السافانا. الأسود تطارد الفريسة. أعينهم عازمة، وأجسادهم في حالةٍ من اليقظة المتجمدة، وعلى استعدادٍ للانقضاض. يقومون بحركات صغيرة تجاه فرائسهم، ويقتربون منها ببطء قبل الهجوم. لكن ماذا يلاحقون؟ تحوَّلت عيناي إلى الجانب الآخر، ورأيت أن الأمرَ ليس ما الذي يلاحقون، بل مَن.

إنها بيرتي من المدرسة ولاحظتُ أنها كانت قد انتبهت بالفعل أنها محاصرة. خفَّت وتيرة سرعتهم حتى توقفوا تقريبًا، وأكاد أرى أفكار بيرتي تخرج من رأسها: هل يجب أن أعود؟ هل يمكنني الالتفاف حولهم هل هناك أي شخصٍ آخر هنا سيوقفهم؟

أنا لا أعرف بيرتي تمام المعرفة. أعني أنها أعارتني قلمًا في أول يومٍ لي وأطلقت نكتة مضحكة تضمنت تلاعبًا لفظيًّا عن الإسهال، التي قد تكون مدعاة للقلق بالنسبة لمعظم الناس ولكنها كانت جيدة جدًّا لدرجة أنني أخبرت جورج عنها في المستشفى في تلك الليلة. أراها معظم الأيام في المتجر نفسه الموجود على الزاوية في طريقي إلى المدرسة الذي أحب التوقف عنده لتمضية الوقت، لكننا لا نتحدث

أبدًا. ليس الأمر كأننا أصدقاء، أنا لست صديقة لأي أحد. وهذا من شأنه أن يتعارض مع القاعدة الأولى التي وضعتها لنفسي عندما انتقلنا إلى هنا: لا تتورطي مع أي شخص أو أي شيء لا تحتاجين إليه.

لذلك، عندما وقعتْ عينا بيرتي عليّ للحظة واحدة فقط، في تلك الميكروثانية القليلة، أرسلت إليّ رسالة تقول: «النجدة»،كان ذلك واضحًا مثل شاشات الإضاءة المُسبّبة للعمى في المتاجر، نظرت إلى الأسفل، ثم أشحت بنظري بعيدًا، وواصلت المشي.

اتجه الأطفال الآخرون نحو بيرتي، ويمكنني سماع إهاناتهم، وهم يتحدثون عن كل الأشياء التي لا يستطيعون فهمها تمامًا. مثل شعر بيرتي، وحذائها، وطريقة مشيها.

قلت لنفسي: «لا أستطيع التوقف للمساعدة، رغم أنني كنت لأفعل ذلك لو استطعت. سأفعل ذلك لو لم تكن لديَّ بيضة تنين في حقيبتي، وأن تلك البيضة هي البيضة الأخيرة من آخر تنين على الأرض». وأنا أفكر بذلك، شعرت بشيءٍ يسحبني من حقيبتي كما لو أن البيضة تُعلن عن نفسها، كما لو أنها تطلب مني أن أنظر إلى الوراء. لكن عندما ألقيتُ نظرةً خاطفةً على بيرتي، لم أَرَهَا. لا أستطيع إلا أن أرى ظهور الآخرين وهم يُحيطون بها، تمامًا كما فعل التنين بي.

ترددت وتمهلت أكثر وهذه المرة تخيلت جورج تقول: «توقفي، لا تغضي نظركِ عن هذا، لا تقبلي هذا. أنتِ لستِ كذلك يا يارا». لكنني دفعت هذا الصوت بعيدًا، رغم أنني شعرت أن وجهي يشتعل بشعورٍ لا أريد الاعتراف به.

قلت لنفسي لا يوجد شيء يمكنني القيام به. هناك الكثير منهم، على أي حال. ربما لم يكن الأمر سيئًا كما بدا. ربما سمحوا لبيرتي بالسير على الفور، كان الأمر مجرد تسلية غبية لأنهم يشعرون بالملل الشديد. ربما أخطأت في قراءة تلك النظرة من بيرتي، ذلك وارد.

قلت لنفسي لديَّ ما يكفيني من المشكلات، لا أريد التورط في أشياء لا تعنيني. وواصلت سيري رغم أن قبضتَي يديَّ أصبحتا كالحجارة من كثرة ما شددتُ عليهما.

كان عليَّ العودة للمنزل، لكنني عدت للمستشفى. هناك شخص واحد فقط أحتاج إلى إخباره عما حدث الليلة حتى أشعر بأن كل ما حدث حقيقي.

انتابتني رغبةٌ جامحة لرؤية جورج، وهذا دفعني إلى الأمام، وحثَّني على الاستمرار، وجعل خطواتي أثقل قليلًا. ذكَّرني ذلك كيف كانت جورج تركض إلى غرفة نومي كل صباح عندما كنا أصغر سنًّا لإيقاظي. كنت أستيقظ دائمًا لأسمع جورج تصدر أصواتَ ضجيج قبل دخولها، بدا الأمر كما لو أنها كانت تسقط من سريرها في كل مرة. وبعد ذلك كان هناك تَدَافُعٌ من الخطى، ثم تفتح باب غرفة نومي.

كانت تصرخ قبل أن تقفز على سريري: «*حلَّ الصباح يا يارا*».

في بعض الأحيان كنت أتظاهر بأنني منزعجة لأنها أيقظتني، لكن في الحقيقة أن أبدأ كلّ يوم مع شخصٍ كان سعيدًا للغاية برؤيتي كان أفضل شيء في العالم. آلمني قلبي بمجرد تذكُّر ذلك.

تسارعت خطواتي أكثر، لكن الأضواء العُلوية في المستشفى دائمًا ما تكون أكثر سطوعًا وقسوةً في الليل، تمنيت لو كان هناك المزيد من الظلال التي يمكنني التلفع بها. لا يوجد زوَّارٌ في هذا الوقت، وأنا أعلم أن اقتحام جناح جورج سيتطلب مزيجًا من الحظ والشجاعة.

اقتربت قدر الإمكان من الأبواب المزدوجة المغلقة للجناح، لكن يمكنني رؤية نظرات موظفي المستشفى الذين تجاوزتهم. كانوا على وشك أن يمنعوني بسؤالي عما أفعله هنا، لذلك تسللت إلى المراحيض وانزلقت إلى الحجرة.

سحبت حقيبة الظهر إلى حضني وفتحت السحَّاب بعناية. هناك، بجانب غلاف الشوكولاتة القديم الممزق والقلم المُتسرِّب، يوجد الشكل الصلب للبيضة.

كما كانت من قبل، هناك شيءٌ ما فيها يبدو عاديًّا جدًّا؛ يمكن أن تكون مجرد بيضة ديك رومي، أو ربما بيضة نعامة. ولكن بعد ذلك، كلما نظرت إليها أكثر، لاحظت أنها تبدو في الواقع تتفاعل مع الضوء بطريقةٍ مختلفة، كما لو كانت قمرًا صغيرًا، متألقًا مرتدًّا. بدت خافتة، ولكن في ظل حقيبتي، كانت على وشك أن تتوهج.

أخرجت البيضة من حقيبتي بكلتا يديَّ إذ إن البيضة الفارغة كانت ثقيلة بشكل مدهش. كانت قشرتها تبدو خشنة في راحتَي يديَّ. مرة أخرى، فكرت في القمر وحفره وانحداراته عندما قربتها من وجهي، استطعت أن أرى أنها في الواقع مُغَطَّاة بالبقع، وكلما نظرت أكثر، رأيت أكثر. بدت لي في البداية كأنها بيضاء اللون فقط، ولكن عندما نظرت عن كثب، أدركت أنها أكثر من مجرد بقع، بل بدت مثل الفُسيفساء الأصغر حجمًا والأكثر تفصيلًا في العالم. التصقت القطع الدقيقة مع بعضها كأنها أحجية صور مُشكِّلةً صورة ساحرة.

قلَّبتها بين يديَّ مرارًا وتكرارًا، وأدركت بينما أفعل ذلك أن يديَّ بدأتا ترتجفان. ماذا سأفعل بها؟ كان يجب أن أترك الأمر هناك وألَّا أتدخل. كسرت القاعدة الأولى التي وضعتها عندما انتقلنا إلى هنا: لا تستهلكي أي طاقةٍ لا تساعد جورج بشكلٍ مباشر. كنت أعرف ماذا تعني هذه القاعدة عندما وضعتها؛ أي لا أصدقاء، لا مصالح، لا حياة، جعلتني تلك القاعدة أشعر أنني أقوى قليلًا لعقد هذه الصفقة مع نفسي. لكن مع البيضة، هناك شعورٌ بداخلي يأتي مثل تشنج بطني أو شيءٌ أكبر من ذلك بكثير، مثل مرساة تهبط في قاع البحر والشعور هو أنني سعيدة لأن البيضة معي. أشعر بتحسُّن بطريقةٍ ما لأنها بجانبي. لا أستطيع حقًّا أن أشرح الأمر أكثر من ذلك.

ولكن بعد ذلك، فجأة، شعرت أن البيضة بدأت تسخن في يديَّ. ازدادت شدة الحرارة بسرعة، علمت أنني لن أتمكن من تحمل درجة الحرارة لفترةٍ طويلة، لذا، وبسرعة وبدقة، وضعتها على أرضية المرحاض وابتعدت عنها.

استطعت أن أشعر بالحرارة تنتشر عبر الأرض، وتصل إلى نعلَي حذائي وما فوق. رأيت الحرارة في الهواء، مثل خطوط الحرارة الضبابية التي تراها في يومٍ صيفي على طريقٍ حار، لكنها هذه المرة قادمة من البيضة في دائرةٍ ممتدة عبر الأرض. تلوَّن مشمع الأرضية ذو اللون الأزرق الهش وتغير في أثناء غليانه، فقفزت بسرعة فوق غطاء المرحاض عندما انتشرت دائرة الحرارة.

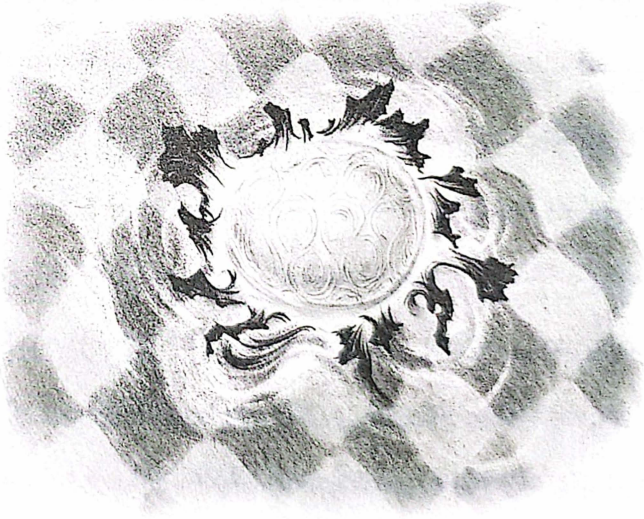

ثم أغمضتُ عينَيّ، وشعرت بالشعور نفسه الذي شعرت به عندما كانت تيلدي العجوز تحاصرني وظننت أنها على وشك أن تنفث كرةً نارية.

قلت لنفسي مثلما فعلت عندها: «ليس هنا وليس بهذه الطريقة، وليس في حمامات المستشفى من فضلك».

ألقيت نظرةً نحو الباب مرة أخرى. لا توجد طريقة يمكنني من خلالها الوصول إليه دون تجاوز البيضة أولًا، وتبدو الأرضية الآن شبيهة بالحُمَم البركانية. حتى بورسلين المرحاض بدأ يسخن. من المؤكد أنني سأُشْوى هنا في مراحيض السيدات الرديئة بالجناح الشرقي للمستشفى، تلك المراحيض التي دائمًا ما تعاني نقصًا في ورق التواليت، وحيث لا يخرج الصابون من موزعات الصابون إلا على شكل قطرات.

ولكن بعد ذلك تدحرجت البيضة قليلًا إلى جانبٍ واحد وشعرت على الفور بأن الحرارة تتناقص، وانخفضت موجات درجة الحرارة ببطء، وما عادت تُسبب ذوبان الأرضية بعد الآن حيث تغير المشمع إلى لونٍ أغمق وبدا أنه أصبح أكثرَ صلابة.

راودني إحساس بأنني أستطيع التقاط البيضة مرة أخرى، وعندما ضغطها بحذرٍ شديد بطرف إصبعي، شعرت أن حرارتها أصبحت كحرارة كوب من الشاي، تمكنت من الإمساك بها بسهولة مرة أخرى. وأصبحت الأرضية لَزِجة بسبب الذوبان ولها ملمسٌ غريب. التقطت البيضة ووضعتها في حقيبة ظهري، وهربت على الفور من

المستشفى. برأيي الآن هناك العديد من الأماكن التي قد يكون من السيّئ إشعال النار فيها. لكن في المستشفى، حيث أختي المسكينة، سيكون الوضع سيئًا بشكلٍ خاص.

اخترت طريقي إلى المنزل، ثم عدت للشقة، وذهني مشغول طوال الوقت ليصل إلى إجابة لمشكلةٍ ما يجب أن أفعله بالبيضة. إن احتفظت بها، أين أضعها؟ وإن تركتها أين أتخلّى عنها؟

في الخارج، اعتقدت أنني أستطيع أن أشمّ رائحة الدخان الذي سببته تيلدي بحلقة النار التي نفثتها في الحديقة. وشعرت بغضب مفاجئ تجاهها لأنها تركتني مع بيضتها بهذه الطريقة.

ولكن يمكنني تركها في مكانٍ ما أيضًا، ويمكنني تسليمها لفرقة اكتشاف التنين، ولا يوجد سبب يجعلني أحتاج إلى إخفائها. سألت نفسي عندما تبادَر إلى ذهني فجأة شيءٌ آخر قالته جورج خلال تلك الرحلة الرهيبة إلى متحف التنين: *يعتقد الكثير من الناس أن البيض يتمتع بصفاتٍ خاصة، مثل امتلاكه قُوى شفاء، أو يجعل الشخص قويًّا للغاية.*

أخرجت هاتفي وكنت على وشك الاتصال بالإنترنت، ولكن بعد ذلك أوقفت نفسي. إذا اضطررت إلى إبقاء البيضة مخفية، فلا أريد أن يُقبض عليّ وأنا أبحث عن شيءٍ واضح جدًّا. يمكنني أيضًا أن أكتب في محرك البحث: كيف يُقبض عليّ مع بيضة تنين بحوزتي.

ولكن عندما حاولت أن أتذكر المحادثة، شعرت بمزيدٍ من الثقة أنه كان هناك بالتأكيد شيءٌ قالته جورج عن الخصائص العلاجية لبيض التنين. ربما لهذا السبب، في الجزء الخلفي من ذهني، شعرت بالحاجة إلى إبقاء البيضة قريبة: كان هناك جزءٌ صغير من عقلي يحاول أن يخبرني أن البيضة قد تكون فرصتي الوحيدة لمساعدة جورج بالفعل.

لا أستطيع أن آخذ البيضة إلى الشقة ليست لدينا حديقة أو أي شيءٍ من هذا القبيل. أذهلتني مرة أخرى فكرة أنه لا توجد مساحة كافية حتى لبيضة تنين، ناهيك بتنينٍ في هذا العالم. المباني المحيطة بشقتنا قريبة من بعضها بعضًا، مثل صفٍّ من قطع الدومينو التي وُضعت بحيث إذا سقطت، فإنها ستسقط على بعضها بعضًا. لا توجد أي مساحة هنا. ولكن هناك مكانٌ واحد أعتقد أن هذا النوع يُلبّي معظم متطلبات البيضة: ليس قريبًا جدًّا من مبنانا بحيث يشكل خطرًا، ولكن ليس بعيدًا جدًّا، لا أستطيع الوصول إليه بسهولة. مكانٌ ما مخفيٌّ بما فيه الكفاية بحيث لن يتمكن أحد من العثور عليها هناك.

هناك حديقة تزلج صغيرة بجوار شقتنا، بها حفرة تتجمع فيها القمامة أسفل أحد المنحدرات، وقد لاحظت ذلك عندما مررت بجوارها. أنا متأكدة أن لا أحد يقترب منها لأن علبة رقائق البطاطس الفارغة نفسها كانت موجودة بالجزء العلوي منها منذ أن لاحظت

الفجوة لأول مرة. أزلتُ بعض أكياس القمامة، وبعض الأوراق الميتة العالقة في الحفرة، ودفنت البيضة في القمامة الموجودة في الأسفل.

قلت بصوتٍ عالٍ سأعود غدًا، قبل أن أوبّخ نفسي لمحاولتي التحدث إلى بيضةٍ فارغة.

ثم عدت لشقتنا بسرعة، ولكن عندما وصلت كان الهدوء مطبقًا. لم يعد أبي بعد، وكنت سعيدةً لذلك للمرة الأولى، لذا لا أحتاج إلى التحدث، ولا يتعين عليّ أن أشرح. غصت في السرير وحاولت النوم حتى أنسى اليوم قليلًا. ولكن عندما حلمت، كل ما فعلته هو التذكُّر. عدت للحديقة، ورأيت تيلدي تحاصرني وتركت فرقة اكتشاف التنين وهي تحلق في المكان، وصوت دائرة النار بقي عالقًا في أذني.

حتى إنني رأيت وجهَ بيرتي مرارًا وتكرارًا، ونداء المساعدة البسيط الذي أرسلته إليّ عندما مررت بجانبها.

ثم فكرت ببيضة التنين والمكان الذي ترقد فيه، تحت حفنة من أوراق الشجر وعلبة بطاطس فارغة، وكنت آمل أن تكون آمنةً هناك.

6

في اليوم التالي، استيقظت أمي أولًا وأخذت تركض عبر الشقة بحثًا عن الأشياء، ثم استيقظتُ أنا. قدمتْ أمي تفسيرًا مشوشًا لسبب اندفاعها، ونظر إليها أبي بنظرة تعِبة وهي تمسك بفنجان قهوة قابل لإعادة الاستخدام، وسترات مختلفة. بحثت عن مفاتيحها، ثم اندفعت والتقطت موزة.

سألتني وهي تضع حاسوبها المحمول في الحقيبة وتلف سلك الكهرباء في دوائر ضيقة: «هل كان كل شيءٍ على ما يرام الليلة الماضية؟».

وسرَّحت شعرها الأسود الناعم على هيئة كعكة، لكنها بدت مشوشة قليلًا.

أجبتُ بصوت تشوبه نبرة دفاعية أكثر مما ينبغي بطريقةٍ لم أستطع تخفيفها: «دأجل، بالطبع. كل شيءٍ على ما يرام. ولمَ سيكون الأمر بخلاف ذلك؟».

أشار أبي إلى جهة الحديقة والمركز التِّجاري الضخم عبر النافذة: «دلا أصدق أن التنين كانت هنا! ووقفت هناك!».

ردت أمي: «دأتساءل إن استطاعت جورج رؤية النار من جناحها. ماذا عنكِ؟ هل رأيت أي شيء؟».

- لا، لا بدَّ أنني كنت حينها أشاهد مقطع فيديو عن حيوان الهامستر وهو يأكل العنب.

تنهَّد أبي وبرم عينيه: «دكانت آخر تنين في هذا العالم هناك أسفل الطريق وكنتِ أنتِ تشاهدين الهامستر».

لكنه عبث بشعري وغمزني. قالت أمي دون أن تفتح فمها: «دعليّ الذهاب. كان يجب أن أغادر منذ خمسة دقائق».

رمقت أبي بنظرةٍ جادة بطريقتها وأظن أنها تمنت لو لم أَلْحَظها. فسألت: «دما الأمر؟».

ردَّت أمي: «دهناك شيءٌ علينا أن نتحدث بشأنه».

كدت أختنق بسبب حبوب الإفطار، ولقمات رقائق الذرة المبللة. بطريقةٍ ما، شعرت أنهما يعرفان شيئًا عن بيضة التنين. وسألا عن

التنين ليختبراني. لا بدَّ أنهما تتبعاني، بطريقةٍ ما. هما يعرفان بالضبط ما الذي كنت أفعله عندما قلت لهما إنني بقيت في المنزل فحسب.

حاولت القول: «هل للأمر علاقة بـ...».

لكن ما الجدوى من الكذب إن كانا على علمٍ بما حصل؟ وللحق يمكنني الاستفادة من مساعدتهما للاعتناء بها. نظرت إليهما، وعضضت على شفتيّ ثم ألقيت نظرة نحو حديقة التزلج الصغيرة حيث خبأت البيضة. يمكنني تحديد المكان بدقة، ويمكنني أيضًا تمييز اللون الأحمر لغلاف رقائق البطاطس الفارغ الذي وضعته أعلى الكومة.

قالت أمي وهي تنظر إلى الأسفل: «داالأمر بخصوص شيءٍ حدث البارحة».

ازدردت ريقي بصعوبة.

- عندما كنتِ في المدرسة...

سعلت بصوتٍ عالٍ وتلعثمت. الأمر لا يتعلق بالبيضة. وبدأت الأحداث تتسابق بذهني لتذكُّر ما حدث في المدرسة البارحة. لا شيء غير طبيعي. مجرد شجار يومي مع السيد لوتون. على الرغم من أنه بدا منزعجًا جدًّا مني هذه المرة.

سألت نفسي وأنا أتذكر وجهه الواجم: «هل للأمر علاقة بالسيد لوتون؟».

ردت أمي بحذر: «لا».

ورأيتها تنظر إلى ساعة يدها، فقلت: «ربما يمكننا التحدث عن هذا لاحقًا».

ردّت أمي بكل صراحة: «لا، لا علاقة للسيد لوتون بذلك. ومن المهم أن نتكلم عن ذلك، أعتذر عن فتح الموضوع بهذه السرعة. لا أدري كيف بدأ هذا الصباح. أو ربما. فقط أن ذلك موضوع يصعب التكلم عنه».

وقف أبي فجأة، وقد احتكَّ كرسيه بالأرضية فأصدر صوتَ صريرٍ في الوقت نفسه الذي قال فيه: «دالأمر يتعلق بجورج».

- جورج؟ ما بها؟ لقد كانت على ما يرام عندما رأيتها بعد المدرسة.

وفجأة شعرت كأن قواي قد خارت فعبارة «دالأمر يتعلق بجورج» أرعبتني أكثر من أي شيءٍ على الإطلاق.

نظرت أمي إلى قدميها كأنهما لم يعد بوسعهما حملها، وبدا أبي كأنه يحاول ألّا يبكي، لكن صوته خرج متهدّجًا عندما قال: «دليسوا متأكدين إن كان العلاج يسير كما هو مُتوقّع».

لاحظت كيف قال ذلك، مع مرض جورج، يبدو أنه لا أحد يعرف حقًّا ما الذي يحدث أو ما الذي سينجح.

لم أستطع منع نفسي من الرد سريعًا: «لكنه قد ينفعها».

قال أبي: «هم يأملون ذلك، لكنهم ليسوا متأكدين يا عزيزتي».

تدخلت أمي قائلة: «لن تبقى على الدواء نفسه، سيجربون شيئًا مختلفًا».

لخصت ما سمعته فقلت: «إذًا، العلاج لم ينفع، لكنهم سيحاولون تجربة شيءٍ آخر سينجح؟».

قالت أمي: «في الواقع، أجل. لكنهم ليسوا متأكدين...».

- أتعلمين ماذا؟ لقد سئمت من سماع الناس يقولون إنهم ليسوا واثقين... ألا يمكن لأي أحدٍ أن يكون واثقًا بشأن أي شيء على الإطلاق.

أعلم أن ما أقوله ليس له أي معنى، لكن كل ما أشعر به هو الغضب وليس لديَّ مكان لتفريغه سوى والديَّ. والديَّ المنهكَين والقلِقَين. ازدردتُ ريقي مجددًا، وحاولت احتواء الغضب الذي شعرت أنه يتراكم بداخلي،أعلم أنني لا أقصد حقًّا الصراخ على أمي وأبي. لكن بدأ بالفعل غضبي يُسيطر عليّ.

- اسمعي، أعلم مدى صعوبة الأمر، لكننا قررنا، واتفقنا، أننا نريد إخبارَكِ بما كان يحدث مع جورج، منذ البداية. هذا يعني أنكِ لن تتصرفي مثل الأطفال، بل سنتعامل معكِ على أنكِ بالغة.

توقفت أمي وعبثت بشعرها مرة أخرى. رغم ما تقوله، فإنّ كل شيء يخصها اليوم يبدو لي مرتبًا وأنيقًا.

- ربما لا ينبغي لنا أن نخبركِ بكل شيء؟

قالتها كما لو أنها تسأل نفسها ولا تدرك أنها تتحدث بصوتٍ عالٍ.

قلت بحدَّة: «لا، أريد أن أعرف الحقيقة. أريد أن أسمعها بكل الفوضى التي فيها».

- حسنًا، دعونا ننتظر الآن ونأمل أن يعمل العلاج التالي، وتتحسن جورج وتسترد قوتها مجددًا.

فجأة شحب وجه أمي؛ لم تبدُ أنها على وشك الخروج لحضور اجتماع عمل مهم. بدت أنها بحاجة إلى شرب الشاي مع ثلاث مكعبات من السكر والاستلقاء في غرفة هادئة.

قالت أمي وهي تنظر إلى ساعة يدها: «حسنًا عليّ الذهاب الآن. لكن سنتحدث عن هذا مجددًا في وقتٍ لاحق، اتفقنا؟».

سألت فجأة: «هل تعرف جورج؟» وتذكرت زيارتي بالأمس من جديد. بدت جورج متعبة أكثر من المعتاد، لكنها ظلت تسأل عن أحوالي وأرادت مساعدتي في ترتيب أموري في المدرسة.

ردّت أمي: «أجل، هي تعرف ذلك».

- وكيف كانت ردة فعلها؟

ردت أمي بنبرةٍ حزينة: «تعرفين كيف هي، إنها مقاتلة. شعرت بالاستياء في البداية لكنها عقدت عزمها على التحسن».

إنها مُقاتلة، وقوية.

سمعت هذه التسميات تُقال لجورج كثيرًا، أردت أن أصرخ وأقول: «لكنها جورج، ليس من الضروري أن تكون أكثر من ذلك».

جعلني ذلك أتذكر عندما اعتادت أن تتذمر عندما يناديها البالغون عزيزتي أو حُلوتي عندما كانت صغيرة. اعتادت أن تنتحب قائلة أنا لستُ عزيزتي أنا جورج.

استطعت أن أشعر بالغضب يتصاعد بقوة أكبر بداخلي، حيث شعرت كأنه يضغط على رأسي.

سألت أمي: «ديارا، هل أنتِ بخير؟».

أستطيع أن أشعر بالبخار يتصاعد من أذنيّ، ورغم أنني أرغب في التحدث وترك سلسلة من الكلمات تتدفق مني. كيف يمكنني أن أكون على ما يرام؟ لماذا تسأل مثل هذا السؤال الغبي؟ لا توجد كلمات تُعبر عما في داخلي. وبدلًا من ذلك، شعرت بهذا الشعور الخاطف الذي جعلني أعرف المكان الذي أريد أن أذهب إليه. لا، ليس الأمر أنني أريد ذلك، بل يجب عليّ أن أذهب.

كان هناك وعاء من الفاكهة على جانب المنضدة، وقبل أن أتمكن من إيقاف نفسي، لوَّحت يدي بعنف فسقط على الأرض. هناك جزء من الثانية اعتقدت فيه أنني لم أكسره وأنه سيسقط فقط، لكنه تحطم على ألواح الأرضية، وتدحرج التفاح منه فوق قطع من الزجاج المكسور.

قالت أمي: «ديارا!».

أدركت أنهما لم يَرَياني قطُّ أتصرف على هذا النحو. ما كنت أفعل ذلك سوى في المدرسة. استمعا دائمًا إلى جانبي من القصة، بشكلٍ متعاطفٍ عادةً، ورغم أنني أعلم أنهما يريدانني أن أتوقف، فإنني شعرت دائمًا أنهما كانا إلى جانبي. لكني الآن رأيتهما مصدومَين، وغاضبَين، ومذعورَين، وأعلم أنني وحدي الآن.

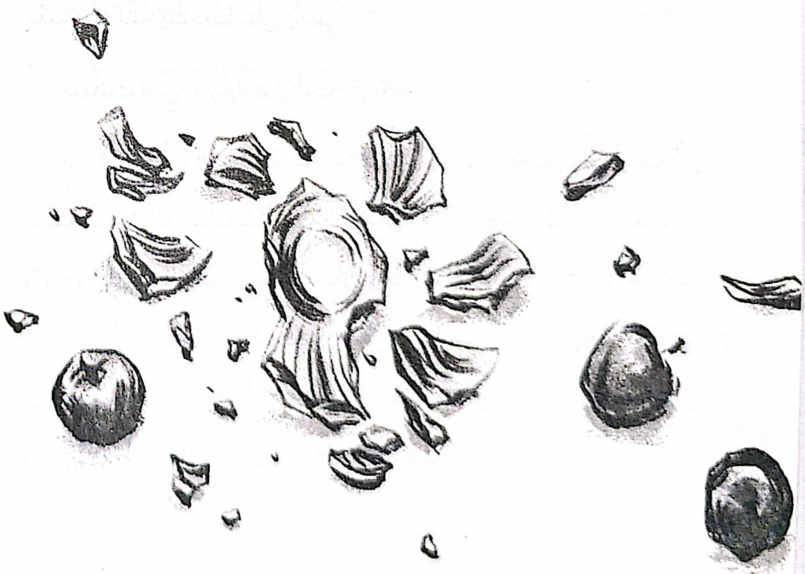

حاول أبي توبيخي قائلًا: «هذا... هذا ليس...»، لكن لم تخرج الكلمات من فمه.

لذلك تركت الغرفة، متجاهلةً حيرة والديّ وشعوري وغضبي الذي يغلي بداخلي. شعرت بالفراغ والارتباك في الوقت نفسه.

سمعت أمي تُتمتم وأنا ذاهبة لأغلق الباب بقوة خلفي: «ماذا علينا أن نفعل معها؟».

جعلني ذلك أُغلق الباب بقوة أكبر من التي أردتها، فصعقتني قوة الصوت الذي صدر لدرجة أنه تردد صداها في الممر.

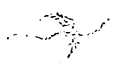

هناك الكثير من الأسباب الوجيهة التي تمنعني من أخذ البيضة إلى المدرسة معي. مثل حقيقة أنه يمكن أن تُشعل النار في نفسها، أو أن السيد لوتون يراقبني مثل الصقر. ولكن أشعر الآن أنني تركتها بالخارج، تحت المنحدر، بمفردها، لفترةٍ طويلة جدًّا، وأريد حقًّا أن آخذها إلى المستشفى لتراها جورج في أقرب وقتٍ ممكن، لذلك، في أثناء سيري، توقفت عند حديقة التزلج.

هناك جزءٌ مني، على الرغم من كل ما حدث، سعيد برؤية البيضة بسلام تحت كل أكياس رقائق البطاطس والأوراق الميتة. لم يتغير أي شيءٍ على الإطلاق وشعرت بالشعور نفسه -الدافئ والثقيل- عندما دفنتُها أسفل حقيبتي.

قلت لها: «حان وقت الذهاب إلى المدرسة يا بيضة»، ثم نظرت حولي وأنا أتقبّل سخافةَ ما فعلته للتو. أنا وحدي هنا لكنني تركت ملاحظةً ذهنية أخرى لنفسي: لا تتحدثي إلى بيضة التنين، توقفي عن التظاهر بأنها أي شيءٍ آخر غير مجرد قوقعة فارغة.

وصلت إلى المدرسة قبل المعلمين مباشرةً، لذا لديَّ الوقت للذهاب إلى المكان الذي كنت أفكر فيه لإخفاء البيضة. إنها غرفة صغيرة اكتشفتها خارج الغرفة المستخدمة للاحتجاز، وهي غرفة عرفتُها جيدًا خلال الأشهر القليلة الماضية. يسمونها غرفة التأمل لجعلها تبدو أجمل قليلًا مما هي عليه: أن تكون محاصرًا في غرفة في صمت في نهاية اليوم.

تكون المدرسة فارغة في هذا الوقت من اليوم، ولذلك أستطيع أن أتسلّلَ عبر الممرات دون أن يراني أحد ويمكنني أن أشقَّ طريقي إلى الغرفة الصغيرة في الجزء الخلفي من غرفة التأمل، التي ليست أكبر من خزانة في الحقيقة. يُحفظ المفتاح دائمًا في درج المكتب في الجزء الأمامي من غرفة التأمل، استخدمته لفتح باب الغرفة الصغيرة في الخلف بسرعة، قبل أن أنسلَّ إلى الداخل. هناك رفوف رُتِّبت عليها كدسات من الورق وصناديق الأقلام. أدرت البيضة إلى الجزء الخلفي من الغرفة، أسفل الرفوف، إلى أقصى حدٍّ ممكن. رغم أنني أعلم أن ذلك لن يُحدث فرقًا كبيرًا إذا بدأت ترتفع درجة حرارتها، فإنني أبعدتُ الورقَ عن البيضة قدر الإمكان أيضًا.

غادرتُ، وأغلقت الباب خلفي، لكنني لم أعد المفتاح إلى الدرج، بل وضعته في جيبي. أستطيع أن أتخيل بالضبط السيد لوتون وهو يتحدث مع نفسه عندما يحاول فتح الباب المغلق ولا يتمكن من العثور على المفتاح. سيرفع عينيه ويقول 'يا له من مكان'.

نزلت الدَّرَج وأضعت نفسي وسط الحشود المتناثرة في الممرات، حاولت ألّا ألتقي بأعين أحد، كأنَّ هناك أيَّ شخصٍ أودُّ التحدثَ إليه. كان لديَّ أصدقاء في مدرستي القديمة؛ كنا أربعة أصدقاء وكنا نتسكَّع معًا، أنا وآدي وزيزي وليزا. الآن يبدو الأمر كأنه منذ وقتٍ طويل، كما لو أن آدي وزيزي وليزا يعرفن شخصًا آخر. لست متأكدة من أنهن سيحببن يارا هذه، هذه النسخة مني. حاولن البقاء على اتصال منذ انتقالنا، لكنني تركت رسائلهنَّ دون إجابة ووضعت الرسالة التي أرسلتها إليَّ زيزي داخل كتاب بعد أن قرأتها بسرعة، ولمرةٍ واحدة فقط. كانت رسالة لطيفة، وكنت أتخيل زيزي تكتبها، وتفكر في نوع النكات التي أحبها، وترسم خربشات صغيرة لأشياء لا يفهمها أحد غيري. لم أستطع تخيلي وأنا أكتب لها رسالة مُضحكة، وليست لديَّ أيُّ قصص يمكنني سردها أو أي أخبار جيدة يمكنني مشاركتها.

لم أسمع أيَّ شيءٍ عنهنَّ منذ أسابيع.

التقت عيناي بعينَي بيرتي وسط الحشود في الممر. حاولت أن أشيح بنظري بعيدًا، لكنني استطعت أن أرى شيئًا مكتوبًا على وجهها بقلم أسود عريض، رغم أن الخط لا يبدو واضحًا ورماديًّا من الفرك. لم أقرأ الكلمة، لكن أستطيع سماع كل مَن حولها وهم يطنون

عندما يكتشفونها، وبيرتي نفسها تنظر إلى الأمام، وعيناها مثبتتان في أُفُقٍ بعيد، محاوِلةً تجاهُل كل مَن يحدّق إليها.

قلت لنفسي لو إنني توقفت بالأمس، ربما كان بإمكاني إيقاف ذلك. ولكن بعد ذلك خرج صوتٌ أعلى وصرخ: *لديكِ ما يكفي للقلق بشأنه، ابتعدي عن طريق أي شخص آخر. ركِّزي على جورج، هذا كل ما يهم.*

حملت حقيبتي على كتفيّ، وحاولت التظاهر بأنني لم أَلْحَظْ أيَّ شيءٍ غير عادي في بيرتي على الإطلاق، وشعرت أن بيرتي لم تَلْحَظني حتى عندما مررتُ بجانبها.

وقلت لنفسي: *امشي ورأسكِ للأسفل، هذا هو عملكِ اليوم.*

ثم سمعتُ أحدًا يصرخ آخر الرواق: «حريق! حريق!».

7

عمَّت الفوضى في الرواق وارتدت الصرخات من حولي. حوَّلت بصري على الفور في الاتجاه الذي أخفيت فيه البيضة، لكنني لا أستطيع رؤية الدخان أو أي شيء من هذا القبيل. لا يوجد سوى حشد من الطلاب المذعورين الذين يركضون بجنون.

سمعت صوتًا مألوفًا يقول، بشيءٍ من اليأس: «على رسلكم». وظهر السيد لوتون أمامي فجأة. جبهته الوردية مجعَّدة، وأكمامه مرفوعة فتمكنت من رؤية ذراعيه، بدا متوترًا كما لو أنه مستعد للقتال. كدت أن أصطدمَ به، لكنني انحنيت خلف شخصٍ آخر في الوقت المناسب.

قال: «إنه مجرد إنذار كاذب»، ولكن في تلك اللحظة بالضبط انطلق إنذار الحريق، بصوتٍ عالٍ ومستمر. بدأ الجميع بالصراخ بصوتٍ عالٍ، كما لو أنهم يحاولون الصراخ بصوتٍ أعلى من صوت الإنذار.

اختلطتُ مع الحشود الذين يشُقون طريقهم إلى المخرج، ونظرت طوال الوقت خلفي لأرى إذا كان بإمكاني معرفة ما إذا كانت النار قد نشبت من الغرفة التي أخفيتُ فيها البيضة. لكنني كنت أبتعد باتجاه المخرج، وعلى الرغم من مسح الجميع المدرسة بحثًا عن أي علامة للدخان، فإنه لم يكن هناك أي أثر لها.

انتظرنا في الخارج لفترة طويلة. وصلت سيارات الإطفاء، التي أطلقت صفارات الإنذار، إلى مدرسةٍ تبدو كأنها ليست مشتعلة. ولكن كيف يمكن أن يكون ذلك، في الصباح نفسه الذي أحضرتُ فيه بيضة تنين تنبعث منها حرارة إلى المدرسة، وصادف أيضًا انطلاق جهاز إنذار حريق، أنا متأكدة من أن نظام إنذار الحريق بالمدرسة ليس حسّاسًا مثل ذلك الموجود في متحف التنانين. لا بدَّ أن البيضة قد احترقت وأحرقت قطع الورق التي كانت موجودة في تلك الغرفة أو شيء من هذا القبيل.

تناهت إلى مسمعي همسات لأشخاص يقولون إنهم رأوا ألسنة اللهب، لكن على الرغم من أنني حاولت استراق السمع فإنني لم أتمكَّنَ من تحديد مكان النيران بالضبط في المدرسة ولا أستطيع تجميع الأوصاف غير المسموعة مقًا في أي شيء ملموس.

وبينما كنت أحاول الانحناء لسماع ما يقوله شخصٌ ما، أدركت أنني بجوار بيرتي مباشرةً، رفعت عينيها لتنظر بعينيّ وتعرفت عليّ

بإيماءة. أومأت برأسي للخلف، وحاولت ألّا أنظر إلى الكلمة المكتوبة على جبينها.

استطعت أن أميز الأحرف الثلاثة الأولى فقط «غ ر ي»، ثم هناك خطٌّ متعرج يمتد إلى جانب واحد. لعل بيرتي تمكنت من الإفلات من قبضتهم في تلك المرحلة، أو ربما تدخّل شخصٌ ما، شخص أكثر شجاعة مني، وأوقفهم.

لاحظت بيرتي أنني أحدّق إلى الكتابة فقالت وهي تشير إلى جبهتها: «مكتوب غريبة الأطوار».

- مكتوب غريبة الأطوار إذًا.

استطعت أن أشعر بوجنَتَيّ محمرّتين ولست متأكدة من المكان الذي يجب أن أنظر فيه وماذا أقول.

- كان بإمكاني إخبارهم أنني يجب أن أكتبها بنفسي. أردت أن أُنهي الأمرَ بالأمس، لكن كان ذلك ليزعج أمي، لذلك لم أفعل. ليس الأمر كأنه جديد بالنسبة إليّ. في الواقع، أنا أعتبرها مجاملة.

أومأت برأسي دون أن أنبس.

سألت بيرتي: «ما الكلمة التي تريدين كتابتها على جبهتك؟».

عضضتُ شفتيّ وفكرت بالأمر، ونسيت البيضة للحظة.

أعلم أنني سأختار شيئًا لطيفًا، ولكن الكلمة التي تتبادر إلى ذهني في اللحظة التي سألتني فيها بيرتي هي «غريبة الأطوار» أيضًا، لكنني قلت: «ماذا لو كتبت يارا؟».

- أجل، ذلك جيد وسينفع في المؤتمرات وغيره من هذه الأشياء.

عندما كانت أختي الصغيرة، طفلة، كانت تكره أن تُلقب بالألقاب أو أن توصف. ولذلك عندما اعتاد الناس أن يقولوا لها: «يا إلهي، أنتِ لطيفة للغاية»، أو «أنتِ نجمة صغيرة»، كانت ترد: «لا، لستُ كذلك، أنا جورج». تذكرت ذلك اليوم وأدركت أنني أريد الاستمرار في التفكير في تلك النسخة من جورج؛ الصريحة والواضحة والقوية. ذكرياتي الأخيرة عن جورج كلها موجودة في سريرها في المستشفى ويبدو أنها متعبة جدًّا بحيث لا يمكن أن تشعر بالغضب هذه الأيام.

قهقهت بيرتي وقالت: «ذلك سيساعد الناس على معرفة أماكنهم».

- أجل.

ونظرت مجددًا إلى الأعلى على المدرسة لأرى إن كان بإمكاني رؤية أي شيءٍ لكن لم يكن هناك ألسنة لهب ولا حتى خيطٌ رفيع من الدخان.

سألت بيرتي: «هل رأيتِ أيَّ شيء؟».

- لا لم أرَ شيئًا لكنني شممتُ رائحة غريبة كرائحة الحرق.

- حقًّا؟ أين؟

- في الممر بجوار غرفة التأمل.

كاد قلبي أن يتوقف. هذا يعني أن البيضة هي التي أشعلت النار.

وأردفت بيرتي: «رغم ذلك، لست متأكدة، لم تكن رائحتها مثل النار فحسب، بل كانت مثل شيءٍ فاسد يحترق».

ابتلعت ريقي وتمتمت: «ربما اشتعلت النيران في شيءٍ غريب في المدرسة».

- نعم، ربما.

تثاءبت بيرتي ورفعت شعرها القصير عن وجهها؛ فتمكنت من رؤية الكلمة بشكلٍ أكثر وضوحًا على جبينها.

- ربما أرادوا كتابة كلمة المستئذب.

عبست بيرتي بسخرية: «يا إلهي إنهم يعرفون سرّي. لكن لا يمكنهم حتى تهجئتها بشكلٍ صحيح. لا يعني ذلك أنني ضد ارتكاب الأخطاء الإملائية. فمثلًا أختي الصغيرة تعاني عسرَ القراءة لكنها الأفضل. فقط الأفضل في كل شيء».

- هل ترتاد هذه المدرسة؟

- لا أدري. أمي وأبي لا يشعران بسعادةٍ غامرة بشأن هذه المدرسة بسبب هذا النوع من الأشياء.

أشارت إلى جبهتها مرة أخرى وأردفت: «على أي حال ربما يكون من الأفضل لبيتي أن تذهب إلى مكانٍ متخصص في عُسر القراءة».

- مهلًا، هل اسم أختكِ بيتي واسمكِ أنتِ بيرتي؟

- أعلم، أعلم. لكن دفاعًا عن والدَيَّ، أطلقا علينا اسمَي روبرتا وإليزابيث لكننا اخترنا ألقابنا، ليس لإرباك مَن حولنا ولكن فقط لأن... حسنًا، لأن هذا هو الاسم الذي كنا ننادي بعضنا بعضًا به عندما كنا صغارًا. لم يمانعا في ذلك كثيرًا، ولكن بعد ذلك حصلنا على كلب في العام الماضي وأطلقنا عليه اسم إرني، لكن أنا وبيتي سميناه بيرني، وبقيت الألقاب عالقة.

ابتسمتُ وابتسمتْ بيرتي. هذه أطول محادثة أجريتها مع شخص، عدا عن السيد لوتون وهو يوبخني، أو كاتيا مربيتي القديمة لأنها كانت تتقاضى أجرًا مقابل رعايتي، منذ أن انتقلنا إلى هنا.

وفجأة سمعنا صوتَ صرير مكبر الصوت، وصوتًا مشوشًا يخبرنا أنه يمكننا العودة للداخل الآن وأنه كان إنذارًا تدريبيًّا.

انضممت أنا وبيرتي إلى الحشد بينما كان هناك هديرُ سيارةٍ أخرى تقف بجوار المدرسة. ظننت أنها سيارة إطفاء أخرى إلى أن رَبّتت بيرتي

على ذراعي وقالت: «هل رأيتِ هؤلاء الرجال من قبل؟ سمعت أنهم ليسوا لطفاء».

استدرت فرأيت أن ذلك لم يكن صوتَ محرك سيارة إطفاء، إنها فرقة اكتشاف التنين وهم يتفقدون الحشود بحثًا عن شخصٍ ما. إنهم يبحثون عني.

8

لم أكن أتخيّل أنهم يشيرون بأصابعهم إليّ ويشقون طريقهم بين الحشود ليقفوا أمامي.

سمعتُ بيرتي تسأل: «هل تعرفين أحدًا منهم؟».

هززت رأسي ونظرت في الاتجاه الآخر، لكنهم بعد ذلك هاجموني قائلين: «هل أنتِ يارا تشيونج؟».

كان هناك ضجيجٌ حولي عندما رأيت السيد لوتون يندفع نحوهم فجأة، قال وهو يحاول رفع نفسه ليبدو أطول مما هو عليه بالفعل: «هل يمكنني أن أسأل عن سبب هذا؟».

همست بيرتي في أذني: «ألا تعتقدين أن السيد لوتون يبدو كأنه طفلٌ كبير حقًّا؟».

جعلتني هذه الفكرة أرغب في الضحك بصوتٍ عالٍ -هي على حق. برأسه الأصلع تمامًا، يبدو كأنه طفل يرتدي بدلة، لكنني حاولت إيقاف نفسي حتى أتمكن من الاستماع إلى ما يقولونه.

- نحن بحاجة إلى أخذ الآنسة تشيونج لطرح بعض الأسئلة عليها بموجب القانون الرابع عشر من قانون التنين.

قال السيد لوتون بصوتٍ خافت: «الآن؟ لكنها ساعات المدرسة».

ثم تدخلت بيرتي قائلة: «وألا ينبغي أن يكون معها أحد والديها أو الوصي عليها؟».

لا تحتاج بيرتي إلى التظاهر بأنها طويلة القامة، فهي طويلة أساسًا.

قال أحد الضباط: «ذلك اختيار الآنسة تشيونج. إذا ترددت في اختيار شخصٍ بالغ مناسب ليجلس معها، فليس من الضروري أن يرافقها أحد».

حوّل بصره إليّ وسأل: «ما رأيكِ يا آنسة؟ هل تريدين مقاطعة والديكِ وإحضارهما إلى هنا؟».

هناك شيءٌ ما في الطريقة التي طرح بها السؤال جعلتني أتوقف للحظة. يبدو الأمر كما لو أنهم يعلمون أن والديّ مشغولان، وأنني أعلم أن لديهما ما يكفي من الأشياء في الوقت الحالي، وأنهم يعرفون ما نمرُّ به كعائلة.

قلت بنبرةٍ لا مبالية: «سأجاوب عن أسئلتكم».

ولاحظت أن بيرتي حدَّجتني بنظرة وهزَّت رأسها قليلًا، لكنني حدَّقت إلى الضابط.

- حسنًا، من هنا إذن. سيتحدث زميلي إلى الإدارة ليسمحوا بخروجكِ من المدرسة.

استدرنا للمغادرة ورأيت ضابطًا آخر يتحدث إلى السيد لوتون الذي بدا منزعجًا بشكلٍ واضح لأنه لن يتمكن من تكدير حياتي خلال الساعات القليلة القادمة. تبعت الضباط إلى سيارةٍ كبيرة ذات نوافذ مظللة. أُغلق الباب بلُطفٍ وهدوء، وفجأة شعرت بالمسافة الكبيرة التي تفصل بيني وبين المدرسة وبيرتي وحتى السيد لوتون والغرباء الذين أنا معهم الآن.

ابتعدت السيارة بصمتٍ وهدوء، ولكن عندما وصلت إلى الطريق الرئيس، زاد السائق من سرعته.

سألت السائق: «إلى أين نحن ذاهبون؟»، لكن يبدو أنه لم يسمعني ولا يوجد أحدٌ معي في الخلف. نظرتُ إلى جوانب الطرق غير الواضحة، ولكن، كما هو الحال في كل مكانٍ في ميلتون كينز، يبدو كلُّ شيء متشابهًا ولم أستطع معرفة إلى أين نحن ذاهبون.

نظرت إلى ساعتي ولاحظت الوقت، ثم حاولت تتبع مكاننا على هاتفي، ولكن لسببٍ ما لا توجد إشارة على الإطلاق ولذلك لم أستطع معرفة موقعي.

بعد نحو عشرين دقيقة، توقفت السيارة عند مبنى يعجُّ بالمكاتب ذي مظهر لطيف، فتحت باب السيارة امرأة وضعت أحمر شفاه وردي وتمسك لوحًا. وعندما رأتني ابتسمت ابتسامة رقيقة: «مرحبًا يا يارا، أنا روز. تفضلي معي لن يستغرق ذلك طويلًا يا عزيزتي».

قلت في ذهني لست عزيزتي، أنا يارا، لكنني تبعت روز عبر الأبواب الزجاجية، مرورًا بفريق الأمن الذي فتش حقيبتي وجعلني أُفرغ جيوبي. وجدوا هاتفي ووضعوه في صندوق.

قلتُ: «أحتاج إلى ذلك».

قالت روز دون أن ترفع نظرها عن اللوح: «سنعيده عندما ننتهي، ذلك إجراء من أجل الأمن».

وابتعدت بهدوء، فقلت لها: «لا، أريده الآن».

رفعت روز نظرها عن اللوح وتقدمت خطوتين وقالت مبتسمة: «يارا، يوجد طريق سهل وطريق صعب هنا. إمَّا أن تأتي معي الآن، وتتركي الهاتف ونعود بعد عشر دقائق. وإمَّا ترفضي فعل ذلك ما يجعلنا نعتقد أن هناك شيئًا ما على هاتفكِ تريدين إخفاءه عنَّا ولذلك سنحصل على مذكرة لنزعه منكِ وفحصه. ماذا تريدين أن نفعل؟ ما الخيار الذكي؟».

- حسنًا.

قالت بلطف مجددًا: «أحسنتِ، فتاةٌ مطيعة. والآن سننتهي بسرعة».

أخذتني إلى غرفةٍ بها طاولة وكرسيين. في البداية بدا أن هذا هو كل ما بداخلها، ولكن بعد مسحٍ سريع لزواياها، رأيت كاميرات موجهة نحونا. سَرَت بعدها قشعريرة في جسدي.

قالت روز وهي تنقر بقلمها عدة مرات: «حسنًا، نحن هنا للحديث عن مكان وجودكِ الليلة الماضية في حديقة كامبل. التقطناكِ على كاميرا المراقبة متجهة نحو الحديقة قبل ظهور تيلدي. هل صادَفْتِها هناك؟».

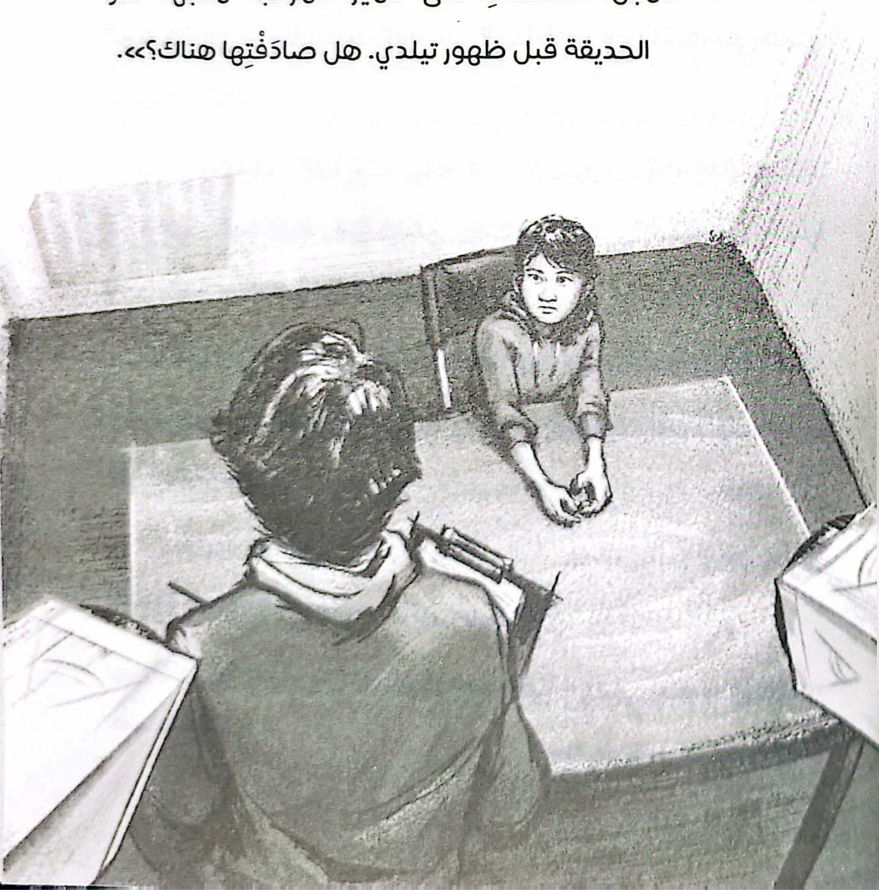

حوَّلتُ بصري نحو الكاميرا للحظة. هل يجب أن أكذب؟ هل يعرفون بالفعل أنني رأيت التنين؟ وتذكرت الطريقة التي استُجوبنا بها في اسكتلندا، وكيف كانوا يعرفون بالفعل ما فعلناه في المتحف قبل أن يطرحوا علينا سؤالًا تلو الآخر حول هذا الموضوع. حاولت أن أتذكر ما إذا كان المكان الذي التقيتُ فيه تيلدي يحتوي على أي كاميرات، ورغم أنني متأكدة تمامًا من عدم وجود أي كاميرات، فإنني أعلم أنه ليس بمقدوري الادعاء عدم رؤيتي لها على الإطلاق. ثم تذكرت شيئًا أخبرتني به جورج ذات مرة عن الكذب بعد أن شاهدت على تلفاز المستشفى برنامجًا حيث كان على المشاهير أن يكذبوا ثم يخمنوا مَن يقول الحقيقة.

من الأفضل دائمًا التمسك قدر الإمكان بالقصة الحقيقيَّة. احتفظي بالمخطط التفصيلي للحقيقة قدر الإمكان، وحينها سيصعب جدًّا معرفة الجزء غير الصحيح.

لذلك أجبت: «نعم، لقد رأيت التنين. كنت أسير عبر الحديقة متجهةً إلى مركز التسوق ثم لاحظت وجودها هناك بجواري مباشرةً. لم أكن أعلم أنها كانت هناك».

ثم نظرت روز إليّ، متفاجئة بعض الشيء. لكن لم أعرف ما إذا كانت مصدومة لأنني رأيت التنين أم لأنني أخبرها بذلك.

ردَّت: «صحيح، جيد»، ثم لوَّحت بأصابعها في الهواء وأردفت: «ماذا فعلتِ؟».

- لا شيء. ذُهلت وشعرت بالذعر، ولم أتذكر ما كان يجب أن أفعل عندما أراها. كنت خائفة ولكني لم أستطع التحرك، ولم أستطع الهرب.

وسألت بسرعة: «ثم ماذا؟».

- اقتربت مني قليلًا، والتفَّت حولي بالكامل. شعرت بالخوف حينها لكنها سرعان ما طارت بعيدًا.

حدَّجتني روز قليلًا ثم دوَّنت ملاحظة على لوحها: «وماذا حدث بعد ذلك، على حدّ تعبيرك؟».

- لا شيء. أعني أنني اختبأت خلف الأشجار لبضع لحظات، لأتغلب على الصدمة. وسمعتُ صوت طائرة هليكوبتر تُحلق فوق الحديقة ثم سمعت التنين مرة أخرى في جزءٍ مختلف من الحديقة كأنها كانت تنفثُ نارًا، وبعد ذلك ذهبت إلى مركز التسوق.

رشقتني بنظرها وسألت: «ولماذا فعلتِ ذلك؟».

- لكي أكون بأمان، أردت أن أدخل إلى مكانٍ ما وأن أكون برفقة الناس.

- وبعد ذلك؟

- ذهبت إلى المستشفى.

قالت روز وهي تدوّن ما أقوله: «مكان وجود أختكِ، لكن ألم تريها بالفعل في ذلك اليوم؟».

أردفت بسرعة: «لا أعتقد أنني بحاجةٍ إلى شرح سبب رغبتي في رؤية أختي بقدر ما أستطيع الآن، أليس كذلك؟».

سألت رغم تأكدي من معرفتها الإجابة: «هل رأيتِها؟».

- لا، لم أستطع التسلل إلى جناحها. وبعد ذلك، عدت للمنزل. ثم ذهبت إلى المدرسة اليوم، من المكان الذي أخذتني منه.

- وكان هناك إنذار حريق في مدرستكِ عندما جئنا لاصطحابك.

- أجل، كان ذلك تدريبًا.

عدلت روز وضعية جلوسها على كرسيها وقالت: «حسنًا يا لها من مصادفة. كم كانت تيلدي تبعد عنك؟».

- لا أعرف، بضعة أمتار، تقريبا أربعة أمتار.

- تلك مسافة قريبة جدًّا. لا يستطيع الكثير من الناس على وجه الأرض ادعاء ذلك.

وعند قولها كلمة «ذلك»، وضعت نقطة على لوحها.

كنت على وشك الرد عليها ثم أوقفت نفسي لأنني تذكرت شيئًا آخر قالته لي جورج. لا تحاولي ذكر أي تفاصيل غير ضرورية إن لم تضطري لذلك، لأنها قد تتسبب في كشفكِ.

سألت: «هل هذا كل ما تريدين معرفته؟».

قالت روز وهي تحني ظهرها للأمام: «لديَّ بعض الأسئلة الإضافية»، ثم دسَّت شعرها خلف أذنيها، ولاحظت الخطوط

العريضة الصفيرة لسماعة الأذن الموجودة هناك. شخصٌ ما يتحدث في أذنها.

- نعتقد أنه حصل شيءٌ مميزٌ عندما هبطت التنين في الحديقة الليلة الماضية، ويمكننا معرفة ذلك من الآثار التي تركتها على الأرض، إذ إنها تخبرنا كثيرًا عما فعلته هناك، فذلك أكثر من مجرد آثار أقدام لتيلدي، إنه مثل شرحٍ لكل ما فعلته. العلامات تخبرنا أنها وضعت بيضة الليلة الماضية هل رأيتِها؟

قلت بهدوء: «بيضة؟ لا».

قلتها بهدوء. بطريقةٍ غريبة، شعرتُ بها براحة أكبر في أثناء الكذب عليها، وتساءلت عما إذا كان ذلك بسبب أن جزءًا مني يريد حقًّا تصديق أن الأمر حقيقيٌّ. لا أحتاج إلى بيضة تنين في حياتي، وإلا كان كل شيءٍ سيكون أسهل لو لم أرَها أو ألتقطها.

سألت روز: «هل رأيتِ أي شيءٍ يشبه البيضة؟».

- مثل ماذا؟

- لا أعرف، مثل شيءٍ ما يتدحرج. أو هل شعرتِ أن التنين تخفي شيئًا ما؟

- لا، لم أرَ شيئًا من هذا القبيل، ربما لأنني أغمضت عينَيَّ لفترةٍ طويلة جدًّا لأنني كنت خائفة. لكن لعل كان هناك شيءٌ مثل البيضة حينها.

- ولم تجدي أيَّ شيء أو تلتقطي أي شيء يمكن أن يكون بيضة تنين، حتى لو لم تكوني متأكدة من ماهيتها.

قلت وأنا أحدّقُ إلى عينَي روز: «لا لم ألتقط أيَّ شيء».

- لم تلتقطي حجرًا كبيرًا أو أيَّ شيءٍ يشبه البيضة.

- لا، قلت إنني لم ألتقط شيئًا.

قالت روز: «هذا أمرٌ مثير للاهتمام». وبعدها فُتح الباب ودخل شخص آخر إلى الغرفة. سمعتُ خطوات عالية ومدوية، وظِل رجل ضخم يملأ المدخل. قال: «إذًا لا توجد بيضة، أليس كذلك؟».

كان لديه شارب كثيف رمادي اللون بدا كأنه يتحرك من تلقاء نفسه، كما لو كان يرقانة، عندما يتحدث.

- هذا ما قلته.

حدَّقت إلى الرجل وعرفت أنه بالتأكيد الشكل العملاق نفسه الذي رأيته الليلة الماضية في الحديقة. الشخص الذي سار نحوي وبدا كأنه المسؤول. هو الرجل الذي اعتقدت أنه رآني مختبئة خلف الأشجار.

قال الرجل لروز: «سأتولى المهمة من هنا»، وخرجتْ بسرعة من الغرفة دون حتى أن تُلقي نظرةً خاطفةً تجاهي.

قال وهو يحدّق إلى اللوح الذي تركته روز خلفها: «إذًا اسمكِ يارا. يا له من اسمٍ غريب».

ضحكت، بالطبع لن أخبره لمَ أمي وأبي سمياني بهذا الاسم.

قال وهو يحدّقُ إليّ: «لنختصر الحديث، اتفقنا؟ أنا لا أصدقكِ. أعتقد أن البيضة معكِ وأنكِ تُخفينها عن الجميع، وتخفينها عنا، وتخفينها عني. ستكون مسألة وقتٍ فقط قبل أن نجدها، وسيكون الأمر أسهل لكِ بكثيرٍ إذا سلمتِها الآن».

- أسهل لك؟

- ماذا تعنين بذلك؟

- لو كانت لديَّ البيضة، لكان من الأسهل لكَ أن أسلمها على الفور.

- كما تعلمين، إذا جعلتِ هذا أسهل لنا، ستحصلين على تعويض، هل تعرفين ما أعنيه بذلك؟

تغيرت نبرة صوته الآن؛ أصبحت مثل نبرة روز عندما أرادت مني أن أترك الهاتف. تبدو لهجته معسولة، لكني أستطيع الشعور بالبرودة في جوهرها.

- لماذا لا تخبرني؟

وشعرت بالنوع نفسه من الغضب الذي يتصاعد بداخلي كلما وبخني السيد لوتون. حدَّقنا إلى بعضنا بعضًا ولن أكون أول مَن يشيح ببصره. لكن جعلتني نظرته أشعر بعدم الارتياح، ورغم أنني أجبرت نفسي على عدم النظر بعيدًا، فإنني لم أستطع إلا أن أنظر إلى الأسفل للحظة.

- حسنًا، ستستفيدين من عدة أشياء. دعيني أشرح على الصعيد المالي أولًا. ستحصلين على مكافأةٍ سخية، أي مبلغ أكثر مما يكسبه والداكِ خلال عام. وسمعت أن أختك ليست على ما يرام، ما كان اسمها؟ جورجينا بحسب ما أتذكر. هناك متخصصون طبيون يمكننا إحضارهم للمشاركة في رعايتها وأعدكِ بأن ذلك سيُحدِث فرقًا كبيرًا في تعافيها. ستحصل على أفضل الأدوية، وأفضل الخبرات، وفريق مخصص بشكلٍ كامل من أجلها.

حاولت أن ألتزم الصمت ولكن كل ما يقوله صدمني. رغم أن المستشفى يقدم أفضل ما يمكنه، لكنني سمعت أمي وأبي يتحدثان عن كم تطول بعض الأمور، وعن ضياع بعض التحاليل، وأنه على الرغم من اهتمام الجميع، يبدو أنهم لا يُنسقون مع بعضهم، ولا بدَّ أن ذلك بسبب الضغط الكبير عليهم. قد يُحدث ذلك فرقًا كبيرًا إذا حصلت جورج على المزيد من المساعدة الآن.

ومع ذلك، عندما حدَّقت إلى عينيه الصفيرتين وشاربه الرمادي الملتوي، لم تخطر على بالي سوى فكرةٍ واحدة: أنا لا أثق بهذا الرجل، ولا أصدق أيَّ شيءٍ يقوله.

مرت فترة من الوقت قبل أن يسمحوا لي بالرحيل. جعلني الرجل نفسه أعيد كل ما قلته لروز، لكنه ظل يطلب المزيد والمزيد من

التفاصيل. حاولت أن أتذكر الأشياء بوضوح قدر الإمكان، باستثناء الجزء المتعلق بالبيضة بالطبع. لا أعتقد أنني ارتكبت أي أخطاء، لكن من نظرة وجهه، بدا مرتابًا، كما كنت أنا أيضًا.

أعادوني للشقة، رغم أنني طلبت منهم توصيلي إلى المستشفى. عرفت الآن أنهم بحثوا عني ويعرفون مكان إقامتي، فإنني ما زلت لا أريدهم أن يكونوا هنا. مع أن البيضة لم تكن في المنزل، إلا أنني حاولت أن أبقي نظري بعيدًا عن الفتحة الموجودة في منحدر لوح التزلج حيث خبأتُها في الليلة السابقة، كما لو كان من الممكن تعقبها بطريقةٍ ما.

أعطاني الرجل أبو شارب بطاقةً عليها رقمه للاتصال به إذا «تذكرتِ أيَّ شيء»، قال إن ذلك رقمًا مباشرًا له، ولكن عندما غادرت واختفى هو في الممر أدركت أنه ليست لديَّ أي فكرة عن اسمه الحقيقي.

عندما وصلت إلى المنزل، لم يكن أحد هناك وأول شيء فعلته هو فتح جميع النوافذ حتى يتجدد الهواء في الشقة. فهي من تلك الأماكن التي إن أُغلقت حتى لبضع ساعات فقط، تبدأ رائحة شبيهة بالشحوم القديمة أو شيءٍ طُهي منذ وقت طويل بالظهور.

ورغم أنني أرغب في الخروج، فإنني أعلم أن أفضل شيء يمكنني فعله هو البقاء بمكاني، وهذا يعني أنني بحاجة إلى الشعور أنني لست محاصرة في شقةٍ صغيرة خانقة بمفردي.

حاولت الاتصال بجورج، لكنني حُوِّلت إلى البريد الصوتي، وحصل الشيء ذاته مع هاتف أمي وأبي.

أخيرًا، حاولت تخيل أن فرقة اكتشاف التنين تراقبني، رغم أنني أعلم أنهم لن يتمكنوا من فعل ذلك إن بقيت في الشقة فقط، لكن قلت لنفسي إن هذا شيء يجب أن أعتاد عليه إن أردت الحفاظ على البيضة. في أي وقتٍ أكون فيه خارج الشقة، يجب أن أتخيل أنهم يراقبون كل تحرُّكاتي. كل ما أفعله سيكون تحت التدقيق، ولكن أعتقد أنني إذا كنت حَذِرة بما فيه الكفاية، فربما سأتمكن من تنفيذ ما أخطط له بعد ذلك.

كل أسئلتهم ومكافآتهم جعلتني أدرك شيئًا واحدًا؛ البيضة ذات قيمة كبيرة للغاية، وربما تكون هي المفتاح لتحسُّن حالة جورج.

هناك شيءٌ واحد أنا متأكدة منه: يجب أن أحاول إيصال البيضة إلى جورج.

9

أعددت الإفطار لأمي وأبي كاعتذارٍ لكسر وعاء الفاكهة في الصباح السابق. ليس الأمر كأنني سأعد الكثير من الأشياء، كل ما فعلته هو وضع كل الحبوب والأوعية على الطاولة وحضرت أكواب الشاي لهما، ابتسمت أمي عندما رأت ذلك وعبث أبي بشعري. رغم أنني لم أَقُل الكلمة بصوتٍ عالٍ، لكن أعتقد أنهما يعرفان أنني آسفة. لم نتحدث عما حدث في اليوم السابق وسألا عن حالي. لم يذكرا فرقة اكتشاف التنين على الإطلاق، وأظن أنهما لم يعرفا لأنني لم أطلب وصيًّا. من الأفضل ألّا يعرفا شيئًا عما حدث أو ما أخطط له.

علقت أمي عندما سألتني عن يومي: «كان يومًا هادئًا إذًا».

- لم يحدث شيء، ولا حتى خلاف مع السيد لوتون، كان ذلك مخيبًا للآمال تقريبًا.

وابتسمت ابتسامة رقيقة سرعان ما اختفت عن وجهها.

أبي كان متيقظًا أيضًا، وأعتقد أنهما كانا يعاملانني كأنني قد أنفجر في أي لحظة بسبب ما حدث في اليوم السابق. أكدا لي أنهما سيتحدثان مع الأطباء أكثر عن جورج وأنهما سيخبرانني بكل ما يعرفانه. أدركت أنني -ويا للغرابة-، قد قلّ اهتمامي مما كنت عليه في اليوم السابق وأعتقد أن هذا كله يتعلق بإيماني الغريب بقوة البيضة.

لم أتمكن من إجراء أي بحث، لكنني أمضيتُ الكثير من الوقت الليلة الماضية وأنا أحاول أن أتذكر أنصاف الأشياء من المتحف وما أخبرتني به جورج على مر السنين. والآن من المؤكد أن هناك شيئًا ما يتعلق بعمر البيضة أنه من الممكن أن تكون أكثر فاعلية لأنها وضعت حديثًا.

سألتني أمي: «هل نراكِ في المستشفى بعد المدرسة؟».

- بالتأكيد، افتقدتُ جورج البارحة.

- افتقدتكِ هي أيضًا، لكنها قالت أيضًا شيئًا مثل أنها تتمنى أن تقابلي أصدقاءَكِ. قالت إنها تلقت رسالة من زيزي أيضًا، وكانت تسأل عنكِ. أعتقد أنها لا تريد أن تفوتكِ الفرصة.

- مثل ما فاتتها الفرصة هي؟

تجهّم أبي قليلًا وأشاح بوجهه.

مشيت إلى المدرسة وذهبتُ من الطريق المعتاد، الطريق الذي أسلكه دائمًا، ولم أنظر خلفي قطُّ لأنني أعلم علم اليقين أن هناك سيارة تتبعني طوال الطريق. كانت السيارة من نوع السيارة نفسها

التي كانت مركونة على بُعد بضع سيارات من الشقة الليلة الماضية، رأيتها عندما نظرت إلى الخارج بينما كنت أتظاهر بالذهاب إلى السرير، وأطفأت جميع الأضواء وألقيت نظرةً خاطفة من خلف الستار.

تدربت على هذا في ذهني الليلة الماضية، وتأكدت من أنني أفعل بالضبط ما اعتدتُ فعله دائمًا في طريقي إلى المدرسة.

ذهبت إلى متجر يقع قرب الزاوية، اعتدت أن أتوقف عنده دائمًا لأُلقي نظرة على الوجبات الخفيفة التي لا أستطيع شراءها. أولًا رف البسكويت، ثم الحلويات ذات المظهر البلاستيكي. هناك شيءٌ واحد صغير فعلته بشكل مختلف، لكن لن يلاحظه إلا الشخص الذي كان يسير خلفي مباشرةً. عندما نظرت إلى رقائق البطاطس، تظاهرت أنني أتفقد علبةً ما، ورميت قطعةً من الورق من يدي. كانت صغيرة للغاية. انتظرت دقيقة، وفي الوقت المناسب رأيت بيرتي تفعل ذات الشيء في المتجر مثلي. عندما وصلت إلى رفوف رقائق البطاطا، دفعت قطعة الورق الملتفة نحوها بقدمي.

حاولت إلقاء نظرة على بيرتي لمعرفة ما إذا كانت قد لاحظت الكرة الورقية، لكن أول ما فكرت به هو أن أعضاء الفرقة بالتأكيد لم يدركوا ما فعلته لأنه لا يوجد شيءٌ يجعلني أتأكد أنهم رأوني ويراقبوني أساسًا. حدَّقت بيرتي إلى الأنواع المختلفة للفشار بجدية، بالطريقة التي تتخيلها إذا طلب منك شخصٌ ما أن تحفظ كلمة مرور لفتح بابٍ قد يؤدي إلى حريتك.

ولكن بعد ذلك صُدمت، كانت بيرتي تبدو جادة للغاية بشأن الفشار ربما لأنها تحاول إخفاء حقيقة أنها رأت الرسالة التي أرسلتها إليها. وأنا أفكر في ذلك، رأيت بيرتي تركع، وتبدو كما لو أنها تربط أنشوطة حذائها، لكن مدت يدها وأخذت قطعة الورق الملفوفة بعناية. ابتعدت بعد ذلك وواصلت السير إلى المدرسة، وفجأة شعرتُ بالصدمة قليلًا عندما علمت أنني وزّطت شخصًا آخر في البيضة. لا أعرف بيرتي حقًّا على الإطلاق، ولكن يبدو أنه من المستحيل القيام بذلك بنفسي ويجب أن أحاول إيصال البيضة إلى جورج بطريقةٍ ما. أحتاج إلى المساعدة، وهذه ليست مساعدة يمكنني أن أطلبها من أمي وأبي. أنا متأكدة أنهما يريدان أن أتخلى عن الأمر على الفور، خاصةً إذا سمعا عن عرض المساعدة الذي يقدمه الفريق لجورج.

بعد أن تذكرت ما كتبت تمنيت أن تفهم بيرتي الرسالة. لقد كتبتها بأحرف صغيرة، وكان من الصعب تنفيذ الأمر بشكلٍ صحيح لأنني لم أرغب في أن تكون الكتابة منطيقة لأي شخصٍ آخر، فقط في حال وقوعها في الأيدي الخطأ. توقعت أن السيارة التي كانت مركونة خارج شقتنا ستتبعني، لكنني لم أكن متأكدة إن كان يتبعني فريقٌ آخر من فرقة اكتشاف التنين ويتجسس عليّ سيرًا على الأقدام. قد يكون ما أظنه ضربًا من ضروب الجنون بعض الشيء، لكنني لم أرغب في المخاطرة.

كتبت: أحتاج إلى مساعدتكِ لتحضير مفاجأة لأختي. أراكِ بجانب واير وولف، بالوقت نفسه الذي رأيتكِ فيه هناك. وبالمناسبة أشعر بالأسف لما حصل.

- المرسل يارا

. ملاحظة x تخبري أحدًا أو تتكلمي معي عن ذلك. هذا غريب بالتأكيد، وأنا أيضًا أتصرف بغرابة إن لم يزعجكِ ذلك. تخلّصي من الورقة بعد قراءتها. أجل أخبرتكِ أن ذلك غريب.

لم تكن الملاحظة مفصلة كثيرًا، لأنني لم أكن مقربة من بيرتي، وفي كل مرةٍ أتذكر فيها كيف أنني لم أساعدها في مركز التسوق، ينتابني شعور حارق بالعار.

زرتُ جورج بعد المدرسة كالمعتاد، لكنها كانت نائمة، تكلمنا أنا وأمي وقررنا أنه من الأفضل عدم إيقاظها. ثم عدت للمنزل لتناول الطعام وتوجهت إلى مركز التسوق.

بينما كنت أسير في الحديقة، رأيت أن المكان الذي التقيت فيه تيلدي قد طُوّق، كما رأيت حارسًا شعرت أنه يراقبني في أثناء مروري.

تساءلت عما إذا كان سيكتب تقريرًا أنني مررت ولكن بعد ذلك ذكرت نفسي بأن هذا مجرد روتين عادي، أي شخص يراقب تحركاتي قبل حدوث أيٍّ من هذا سيرى أنني كنت أفعل الشيء نفسه الذي أفعله كل يوم.

عندما وصلت إلى مركز التسوق، توجهت لأركب السيارة الصغيرة، مكان ما رأيت بيرتي تتعرض للتنمر، ولكن لم أرَها هناك.

جلست إلى أحد المقاعد الأبعد قليلًا ولعبت بهاتفي لبعض الوقت. رأيت رسالةً من جورج تقول فيها إنها آسفة لأنها كانت نائمة وأرسلت مقطع فيديو لقطّة تسقط من على الطاولة. لكنها بعد ذلك كتبت أيضًا رسالة قصيرة تقول ببساطة: *راسلي زيزي*. لا شيء آخر. ونقرت على زر الخروج من الرسالة عندما رأيت بيرتي من زاوية عينيّ تقترب من السيارة.

دسست هاتفي في جيبي، وحاولت أن أبدو كأنني قررت للتو الذهاب إلى المنزل ثم مشيت نحو السيارة ببطء. وعندما رأيت بيرتي تحدّقُ إليّ، قلت: «دأوه مرحبًا»، متظاهرة كأنني رأيتها للتو، ولم يكن ذلك لقاءً مرتبًا.

رفعت بيرتي عينيها وحدّقت إلى وجهي وسألت: «دما خطب الـ...».

همست بسرعة: «دلا يمكنني التحدث الآن، لكن هل يمكنكِ جعلهم يحتجزونكِ غدًا؟».

- أتقصدين غرفة التأمل؟

- أجل، هل يمكنكِ دفعهم على إرسالك إلى الغرفة ومقابلتي هناك وسأشرح لكِ كل ما وعدتكِ به. أعلم أن هذا يبدو جنونيًّا ولكنهم يتَتبعونني ويراقبونني. لا بدّ لي من التصرف مثل...

لكن قبل أن أُنهي الجملة أومأت بيرتي برأسها وقالت: «دحسنًا».

- شكرًا لكِ، أراك غدًا.

سرتُ طوال الطريق إلى المنزل، وحاولت ألّا أنظر من فوق كتفيّ بحثًا عن شخصٍ ما يتبعني طوال الطريق.

10

اليوم التالي في المدرسة، لم أخرج عن طبيعتي باستثناء إزعاج السيد لوتون تمامًا عن عمد. نجح الأمر بسهولة وسرعة، لدرجة أن فِعْلَ ذلك كان سلسًا للغاية. عندما مرَّت عبارة «غرفة التأمل» على شفتيه، كدت أن أصيح ابتهاجًا.

لم يكن هناك سواي، وصبي قضى الوقت كله واضعًا رأسه بين يديه محدِّقًا إلى المكتب، وبيرتي. جلسنا هناك لمدة ساعةٍ كاملة، مع المعلمة التي لا ترفع نظرها عن الكتب التي تُصححها طوال فترة وجودنا هناك. وفي نهاية الفترة الزمنية، غادر الصبي الذي يحمل رأسه بين يديه أولًا، وتبعته المعلمة؛ وبقيت أنا وبيرتي هناك فقط.

قلت بصوتٍ خافت: «اتبعيني». ودخلنا إلى غرفة الخزانة الصغيرة التي فتحتها، وتركنا هاتفينا في حقيبتَينا تحت الطاولات في غرفة التأمل.

رغم أنني متأكدة تمامًا من عدم وجود شيءٍ هناك، فإنني ألقيت نظرة في كل ركن من الغرفة بحثًا عن كاميرات مخفية أو شيءٍ من هذا القبيل، لكن لم يتغير شيء منذ أن تركت البيضة هناك.

سألت بيرتي وأنا أنظر حولي: «وما الأمر؟».

- من الصعب تصديق ذلك. أشعر كأنني أتخيل كلّ شيء، ولذلك اعتقدت أنه قد يكون من الأفضل أن أعرضها عليكِ فقط، وللتأكد من أنني ما أزال أمتلكها بالفعل.

وصلت إلى الأسفل ودفعت يدي مباشرةً إلى الجزء الخلفي من الرف السفلي واستطعت سماع نفسي أتنفس الصعداء عندما شعرت بالقشرة الدافئة المُدملة تحت أصابعي.

سحبتها ورفعتها لتراها بيرتي.

قالت وهي تقفز من قدم لأخرى: «هذا ليس ما أظنه، لا يمكن أن تكون...».

همست: «حافظي على هدوئكِ».

- كنت لأفعل ذلك لو استطعت يا يارا، لكن لديكِ بيضة تنين حقيقيّة في يدكِ.

- وكيف عرفتِ أنها بيضة تنين؟

- وماذا عساها تكون غير ذلك؟ رأيتها مرة في متحف إدنبرة، وكان فريق اكتشاف التنين يبحث عنها في جميع المحافل. وأفترض أنكِ لن تستخدمي هذه الحيل كلها فقط لتُريني بيضة نعامة!

إنها مضيئة بعض الشيء، أليس كذلك؟ هل هي كذلك أم إن هذا ما أشعر به أنا؟

حاولت إيقاف بيرتي، حيث بدا أنها لن تتوقف عن الثرثرة حول البيضة فسألت: «هل حقًّا ما نُشر على الإنترنت عن بحث فرقة اكتشاف التنين عنها».

- نعم، هذا ما يتحدث عنه الجميع. لقد حصلتِ عليها، حصلتِ عليها حقًّا!

ولكن بعد ذلك تغيرت قسمات وجه بيرتي قليلًا: «هذه ليست نكتة، أليس كذلك؟ لأنني أحب تيلدي».

- أجل، لمَ لا؟

- الأمر فقط أنني معتادة أن يهزأ الآخرون من الأشياء التي أحبها هذه الأيام. هذه ليست مجرد بيضة نعامة، أليس كذلك؟ هل سيهاجمني مايك وماك وموه؟

وبدت بيرتي قلقة، فقلت لها: «لا، انظري، احمليها. يمكنك أن تشعري أنها حقيقيّة. وليس هناك أحد هنا غيرنا. لهذا السبب بذلت قصارى جهدي لمحاولة إحضاركِ إلى هنا وحتى أتمكن من أن أُريكِ إيّاها. لا أستطيع أن أخبرَ أي شخصٍ آخر أنها بحوزتي».

عندها سمعنا صوت باب غرفة التأمل يُفتح، أشرت إلى بيرتي لتلتزم الصمت وحوطت البيضة بيديّ. لم أستطع أن أقوم بحركة واحدة، ولا حتى أن أتركها. حاولت أن أسترق السمع قدر الإمكان

لمعرفة مَن يتجول. ثم سمعت صوتَ شخصٍ يعبث بما كان موجودًا في الغرفة وبعدها تجول هناك.

بعد ذلك، علا صوتٌ عرفته بوضوح شديد، كان السيد لوتون. لكن لم تكن نبرة صوته كالتي عرفتُها عادةً.

قال بهدوء: «مرحبًا يا حبيبتي، أعلم أنه لم يمضِ وقتٌ طويل ولكن كان عليّ أن أتصلَ. كيف حالكِ؟».

حركت بيرتي شفتيها وقالت دون أن تنبس: «لوتون»، وأومأت أنا برأسي.

أشارت إلى المفتاح الذي وضعته على أحد الرفوف عندما دخلنا، وأومأت برأسها نحو الباب والقفل.

هززت رأسي؛ إذا حاولنا أن نحبس نفسينا هنا، فمن المؤكد أنه سيسمع وبعد ذلك سنكون محاصرتين هنا، في الزاوية.

حركت بيرتي شفتيها: «لكنه يكرهكِ»، وأومأت برأسي بالموافقة، لكنني رفعت كتِفَيّ. أفضل شيءٍ يمكننا فعله هو الحفاظ على الهدوء قدر الإمكان. احتضنت البيضة كما لو أنني أستطيع حمايتها.

استطعت أن أسمع السيد لوتون يقول، بالنبرة اللطيفة والهادئة نفسها التي لم أسمعه يستخدمها من قبل: «نعم، آها، بالتأكيد».

وبدا أنه يستمع في الغالب إلى ما يقوله الشخص الموجود على الطرف الآخر من الهاتف.

- حسنًا، حظًّا موفقًا وسأفكر فيكِ. وأنا أحبكِ حبًّا جمًّا، حسنًا.

كنا مشدوهتَين لأنه يتكلم بهذه الطريقة ثم تظاهرت بيرتي أنها على وشك أن تتقيأ.

سمعنا السيد لوتون يتنهَّد ثم يتخذ خطوات تبدو كأنه يتجه نحونا مباشرةً.

سمعنا وقع خطوات تقترب أكثر وأكثر.

بدأت أشعر بأن البيضة أصبحت أثقل، ولا أستطيع أن أعرف ما إذا كان ذلك بسبب حملي لها أم أنها أصبحت أثقل من تلقاء نفسها بطريقةٍ أو بأخرى.

سمعنا السيد لوتون يقول: «وما رأيك؟» ولكن لا يبدو أن هناك أيَّ شخص آخر في الغرفة، ومن المؤكد أنه أغلق الهاتف.

ثم تحدث مرة أخرى: «وأعتقد أنها ستكون على ما يرام. ستكونين على ما يرام، اتفقنا؟»، ثم أطلق قهقهة غريبة.

لم نسمع أحدًا يجيبه، لذا لا بدَّ أنه كان يتحدث إلى نفسه فقط. وبعدها سمعنا تنهيدةً عميقة أخرى، ثم خُطى تبتعد، وباب الغرفة يُغلق.

انتظرنا بضع دقائق أخرى، ولم تجرؤ واحدة منا على التحرك. ثم فتحت بيرتي الباب ببطء، ورأينا الغرفة فارغة.

قلت وأنا أضع البيضة الثقيلة على الأرض: «كان ذلك وشكيًا. أغلقي الباب واسحبي المفتاح، حتى إذا جاء أحد لن يدرك أن الباب مغلق من الداخل».

أومأت بيرتي برأسها وقفلت الباب، وبقيتُ معها بالداخل.

سألتني وهي تنظر إلى البيضة: «هل ستشرحين لي؟».

- ليس هناك الكثير لأقوله بخلاف وجود التنين هناك، لقد أحاطت بي نوعًا ما في الحديقة، وأتت من العدم. لم أعرف ما عليّ فعله. وبعد ذلك طارت وتركت البيضة أمامي. أغمضت عينَيّ معظم الوقت.

- إذًا لقد اختارتكِ.

- لم تخترني، كنت في المكان الخطأ بالوقت الخطأ.

هزت بيرتي رأسها وأردفت: «لا، أعتقد أنكِ تنظرين إلى الأمر بشكلٍ خاطئ. لقد كنتِ في المكان المناسب تمامًا في الوقت المناسب. أعتقد أن التنين اختارتكِ لتكوني وصية على البيضة».

- وَصِيَّة؟

- أجل، مثل الوالدة البديلة لها.

هززت رأسي غير مصدقة: «لا، لا يمكن أن يكون الأمر كذلك. لماذا؟ ولماذا أنا؟ أي نوعٍ من الأوصياء سأكون؟».

- إنها ليست مجنونة كما تبدو. هناك نظريةٌ مفادها أنها فعلت هذا من قبل.

- ماذا؟ هل وجدت وصيًّا؟

- أجل، لأنها يجب أن تطير وتتحرك، فهي لا تستطيع الاعتناء بالبيضة بنفسها. هناك الكثير من الأنواع التي تضع بيضها ثم تتركها لشخصٍ آخر ليعتني بها، مثل طائر الوقواق. عندما تضع بيضها في عشِّ طائر آخر، فإنها تُلقي جميع البيض الموجود بالعش، وبهذه الطريقة سيعتني الطائر أكثر ببيض الوقواق لأن بيضه لم يعد موجودًا.

- وبعدها، هل فقط يطيرون بعيدًا؟

- بالضبط، يطيرون بعيدًا ويتركونهم وشأنهم. هناك روايات تفيد بأن آخر بيضةٍ وضعتْها تيلدي تركتها مع مُزارع في كوريا، لكن فرقة كشف التنين اقتحمت المكان وأخذت البيضة منه. أتساءل عما إذا كان هذا هو السبب.

- سبب ماذا؟

- أنه لا توجد حياة داخل أيٍّ من البيض الذي وضعته؛ لأنهم أخذوا البيضة بعيدًا عن الوصي الذي اختارته تيلدي.

- لا أعرف شيئًا عن ذلك، أنا متأكدة أنها فارغة كمثل كل البيض الذي وُجد.

سألت بيرتي: ‹‹ما الذي يجعلكِ واثقة لهذه الدرجة››.

- لأنها كلها فارغة... وتيلدي هي آخر تنين على الإطلاق. هذا ما عليه الحال.

أردفت بيرتي: ‹‹ومع ذلك هل من الضروري أن تكون فارغة؟››.

فكرت في كل ما قالته بيرتي. ماذا لو كانت على حق والبيضة ليست فارغة ماذا لو اختارتني التنين؟ ولكن لماذا تفعل ذلك، ولماذا فضَّلتني عن أي شخصٍ آخر؟

التقطتُ البيضة بحذرٍ شديد، ودُهشت من ثقلها، كما كنت أفعل في كل مرةٍ أرفعها. مع تردُّد كلمات بيرتي في ذهني، تساءلت عما إذا كانت على حق وقد يكون هناك تنينٌ صغير ملتفٌّ بالداخل على الجانب الآخر من القشرة الكريمية.

قلت وأنا أهزُّ رأسي: «لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا. لا يمكن أن يكون هناك تنينٌ حقيقي هنا».

سألت بيرتي بحيرة: «بماذا شعرتِ عندما قابلتِها؟».

- كان ذلك مرعبًا، كانت قوية للغاية واستطعت الشعور بحرارتها. تجمدتُ مكاني وبعدها...

- ماذا حصل؟

- حسنًا، شعرت أنها كانت تحدِّق إليَّ وشعرت بشيءٍ غريب بداخلي كأن ألعابًا نارية اشتعلت بداخلي، لا أجد الكلمات المناسبة للتعبير عما شعرتُ به.

ضربتْ بيرتي ساقها وصاحت: «تيلدي متصلة بكِ ولهذا السبب شعرتِ بشيءٍ غريب بداخلك. لا بدَّ أنها فحصتكِ قبل أن تقرر أن تعطيكِ بيضتها».

- لا أعلم، بدوت غريبة الأطوار للغاية. ربما كنت كذلك بسبب شعوري بالخوف.

- لا، أنا متأكدة من أنها كانت تتفحصكِ. هل أعطتكِ البيضة مباشرةً بعد ذلك، بعد أن راودتكِ تلك الأحاسيس الغريبة؟

- نعم، لكنها كانت مجرد لحظة مجنونة حقًّا. من الواضح أنكِ تعرفين الكثير عن التنانين، هل تعرفين أيَّ شيء عن الخصائص العلاجية للبيض؟

أومأت بيرتي برأسها وقالت: «يوجد عدد من الأساطير حول ذلك. لم يُثبت أيُّ شيء سوى عددٍ قليل جدًّا من الروايات عنها في التاريخ. قرأت مقطعًا عن زوجةٍ كانت تحاول استخدام البيضة لمساعدة ابنها، واعتقدت أن الأمر نجح حقًّا، ولكن لفترةٍ قصيرة فقط. إذ يبدو أن البيضة تفقد قوتها. لكن الأمر كله غامض جدًّا وقديم. إنه يشبه إلى حدٍّ ما الأشباح، هناك مشككون بصحة الروايات وهناك مؤمنون».

- حسنًا، سأختار أن أكون مؤمنة بتلك الأساطير. أختي، التي أخبرتكِ عنها منذ بضعة أيام، إنها مريضة، وهي في المستشفى الآن.

تلعثمت بيرتي قائلة: «دأوه، صحيح، أنا آسفة لذلك. لا بدَّ أن ذلك...».

أكملت الجملة عنها قائلة: «دأسوأ شعورٍ على الإطلاق. ولكن إذا كانت هذه البيضة يمكن أن تساعدها بأي شكلٍ من الأشكال،

فيجب أن أحاول إيصالها إليها، لكنني بحاجةٍ إلى بعض المساعدة للوصول إلى المستشفى دون أن يراني أحد أو يوقفني. فرقة اكتشاف التنين تلاحقني بلا توقف منذ ذلك اليوم. لا أعتقد أنهم يُصدقون أن البيضة ليست بحوزتي».

ثم تذكرت ما قاله لي الرجل العملاق وأكملت: «في الواقع، هم يعلمون أنني أكذب عليهم، وهم فقط يحاولون انتظاري لأقودهم إلى البيضة. أنا متأكدة من أنهم يتتبعونني، ولهذا السبب كان عليَّ أن أرسل إليكِ الملاحظة».

- وحتى لو صدقوكِ، يجب عليهم أن يكونوا متأكدين تمامًا، فمن المحتمل أنهم يتتبعون كل شخصٍ كان في الحديقة في تلك الليلة فقط للتأكد، تجعّد جبين بيرتي وأكملت: «في الواقع، لديَّ فكرة».

- ما هي؟

صرخت بيرتي بصوتٍ عالٍ لدرجة جعلتني أقفز: «التشويش».

- لم أفهم.

صرخت بيرتي مبتسمة: «لا يمكننا منعهم من مراقبتكِ لكن يمكننا تحويل نظرهم إلى مكانٍ آخر».

- ماذا تقصدين؟

- يمكننا جعلهم يعتقدون أن هناك بيضةَ تنين أخرى في مكانٍ آخر، وبعد ذلك سوف يركزون بشدة على العثور على البيضة

المزيفة لدرجة أنهم لن يلاحظوا أنكِ تأخذين البيضة الحقيقية إلى جورج.

قلت بعد أن أدركت فجأة أنني عثرت بالمصادفة على الشخص المثالي لمساعدتي: «هذا... رائع».

- سيتطلب الأمر التحضير والتخطيط وإشعال بعض الحرائق...

- لكن على نحوٍ آمن. لا أريد أن يتأذّى أحد.

قالت بيرتي ببهجة: «بالطبع، بالطبع».

- ونحن بحاجة إلى الحصول على شيءٍ يشبه بيضة التنين أو صُنْع واحدة. لدينا الكثير لفعله!

إن حماسة بيرتي معدية، وللمرة الأولى منذ أن وجدت البيضة، أستطيع أن أشعر أن هناك شعورًا جديدًا يسري في داخلي؛ طاقة يمكنني من خلالها تحقيق الأشياء.

سنضع خطة. سآخذ البيضة لجورج. سأجعلها تتحسن.

11

وضعنا مخططًا رئيسًا لما سنفعله، لكن بيرتي أحرقته بعد أن نظرنا إليه مليًّا لمدة عشر دقائق متواصلة وحفظناه بالكامل، لذا لم نترك وراءنا أيَّ دليلٍ.

اعتقدت أننا غير مستعدتين بعد، لكن برأي بيرتي كنا بحاجة إلى تحقيق أقصى استفادة من عنصر المفاجأة ولذلك قررنا المحاولة في الليلة التالية.

بعد المدرسة، في المساء الذي تلا لقاءنا في غرفة التأمل، عدت للمنزل وارتديت بعض ملابس أمي. كانت جميع ملابسها التي ترتديها عند الخروج للركض باللون الرمادي، عندما كان لديها وقت لهذا النوع من الأشياء.

اعتمرتُ قبعة بيسبول واستعرت عصابة شعر أبي فرفعت بها شعري عن وجهي قليلًا. نظرت إلى نفسي في المرآة، واعتقدت أنني

يمكن أن أُعتبر واحدة من أولئك الأشخاص غريبي الأطوار الذين يركضون بسرعة. شعرت أنني أُشبه أمي قليلًا.

حزمت حقيبتي بالأشياء التي اتفقنا على أخذها. معطف مطري صغير جدًّا، ووضعت بيضة التنين داخل حقيبة أدوات التربية البدنية. أُرسلت إلى غرفة الاحتجاز في اليوم التالي لوضع الخطة، لكن هذه المرة بمفردي، وبعد ذلك دخلت إلى غرفة الخزانة ووضعت البيضة بحقيبتي. شعرت أن يدَيَّ ساخنتان وزلقتان عندما دسستهما بين البدلة الرياضية وقميصي المدرسي. شعرت بالتوتر عندما أخذت البيضة من الخزانة، إذ كانت بمنزلة مكانٍ آمن لها، وكان نقلها من هناك محفوفًا بالأخطار، ولكن إذا أردت إيصالها إلى جورج، فلا بدَّ من القيام بذلك.

قلت لبيرتي عندما وضعنا خطة لما يجب فعله عند نقل وإخفاء البيضة: «رائحة حقيبتي الرياضية قد تمنعهم من البحث فيها».

ردَّت قائلة: «يا لها من فكرة دفاعية».

لأكون صادقة وقع معظم العمل على عاتق بيرتي، إذ اعتقدنا أنه لن يتبعها أو يراقبها أحد مثلي، وأملنا أنه على الرغم من أننا بدأنا في رؤية بعضنا بعضًا أكثر في الوقت الحالي، فإنه لا يوجد سبب لربطنا بعد. ومع ذلك، عندما نكون في الأماكن العامة، لا نتحدث مع بعضنا بعضًا على الإطلاق ونحتفظ بأي اتصال بيننا مخفيًّا عن طريق إرسال الملاحظات. نحن لا نتواصل مع بعضنا بعضًا على الإطلاق على هواتفنا. يعجبني أن بيرتي لا تعتقد أنني مصابة بجنون العظمة. وهي

على يقين أن البيضة ستُؤخذ مني إذا علمت الفرقة أنني حصلت عليها.

هناك سبب آخر جعلني أعتقد أن بيرتي تريد مساعدتي، وليس فقط من أجل جورج. لم أكن أدرك أن بيرتي كانت خبيرة في التنانين أو مهتمة جدًّا بتيلدي، لكنها في الواقع أحد المعجبين المتشددين. فهي تعرف عنها أكثر مما تعرفه جورج، عندما كانت تهتم حقًّا بالأمر، قبل أن تمرض.

أخبرتني بيرتي مرةً أخرى بعد أن وضعنا خطتنا في خزانة غرفة التأمل، وهي تومئ برأسها: «أظن أن البيضة كان من المقدر أن تكون معكِ. أنت الوصِيَّة ولديَّ نظرية مفادها أن بقاء البيضة مع الوصي يعني أن التنين سوف يفقس بالفعل».

- أنت تمزحين، أليس كذلك؟

- أنا جادة، جادة تمامًا. أعتقد أنكِ قد تكونين الحل لعدم تحول التنين إلى أحدث الأنواع المنقرضة على هذا الكوكب.

- بصراحة، أنت تُحولين هذا إلى شيءٍ آخر، أليس كذلك؟ البيضة فارغة.

أمسكت بها بين يديَّ مرة أخرى، وحاولت أن أشعر بشيء لأثبت أنني على حق. إذا كانت بيرتي على حق، فمن المؤكد أننا سنشعر بشيءٍ يتحرك تحت القشرة ولكن لا يوجد شيء. والحرارة التي تصدرها،

تمامًا مثل البيضة الموجودة في المتحف، ليس دليلًا على الإطلاق على وجود أي شيءٍ بداخلها.

مع ذلك، لاحظت أنني لا أستطيع إلا أن أمسك البيضة بعناية أكبر، بعد أن أجريت تلك المحادثة مع بيرتي. وعندما احتضنتها، امتلأ ذهني بأماكن بعيدة لم أذهب إليها من قبل، مساحة يمكن أن يعيش فيها التنين ويطير ويكون في مكان بري وأخضر وغير مأهول. حلمت بعالم حيث، إذا كان هناك تنين داخل هذه البيضة، يمكنه الذهاب إليه.

عندما رأتني بيرتي أحمل البيضة بهذه الطريقة، استطعت أن أشعر بها تنظر إليّ باستحسان، وهذا جعلني أتخيل أن هناك بالفعل تنينًا داخل البيضة، قلبه ينبض، وله حراشف. وهذه الفكرة ضخمة جدًّا لدرجة أقلقتني كثيرًا. كنت أفضل لو لم تكن بيرتي تعرف هذا الكم من الأشياء ولم تقترح أن البيضة قد لا تكون فارغة. سيكون من الأسهل عليّ أن أفكر في الأمر على أنها مصادفة أحتاج إليها فقط لإيصالها إلى جورج.

ولكن على الرغم من ذلك، فأنا سعيدة بمساعدة بيرتي. ما دمنا نستطيع الحفاظ على البيضة آمنة، حتى أتمكن من إيصالها إلى جورج، كل شيء سيكون على ما يرام.

لذلك، في المساء بعد أن تحدثنا لأول مرة ووضعنا الخطة، غادرت الشقة متخفية، مع حقيبتي الرياضية وانتظرت حتى الساعة السادسة، موعد اجتماع خمس نساء من المبنى الذي أعيش فيه

للركض. رأيتهنّ يغادرن في هذا الموعد منذ زمن طويل، وأدعو الرب ألا يلفوه اليوم لأي سببٍ من الأسباب. لكن في الوقت المناسب، اجتمعن للركض على الدرج ولكن قبل أن يصلن إلى الباب، قاطعتهن بسرعة.

سألت، تمامًا كما تدربت مع بيرتي، في الليلة السابقة: «مرحبًا، أنا بيتي من الطابق السابع، هل يمكنني الانضمام إلى الركض معكن؟ أحاول أن أستعيد لياقتي».

نظرن إليّ من الأعلى إلى الأسفل، ولكن بعد ذلك ارتسمت ابتسامة على وجه شقراء بينهن ذات تسريحة ذيل الحصان وقالت: «بالطبع، أنتِ موضع ترحيب كبير. ما دام والداك موافقين على ذلك».

قلت: «أنا لست سريعة، قد أنسحب قبل الوصول إلى خط النهاية».

ردَّت الأخرى: «يمكننا التخفيف من سرعتنا. من الجيد أن فتاة بعمرك مهتمة بالتمارين الرياضية. يمكننا الركض على سرعتك».

- لا أريد أن أسبب أي متاعب.

قالت الأخرى: «لا عليكِ». وبهذه الطريقة خرجت معهنّ وكنّ مرتديات سراويل مصنوعة من قماش مطاطي لماع. تمكنت من مجاراتهن والبقاء مختبئة في المنتصف بينهن.

عادةً ما أكره الركض، لكن هذا المساء شعرت أن ساقَيّ وجدتا إيقاعًا وركضتُ بسهولة مع المجموعة. قد يكون الأدرينالين الناتج عما نحاول القيام به هو ما يدفعني إلى الأمام، لكنني ركضت بسهولة مع المجموعة وسرعان ما أصبحنا خارج نطاق رؤية مبنى سكني. لم أجرؤ على النظر من فوق كتفيّ حتى قطعنا عدة شوارع أخرى أبعد، لكن عندما استجمعت شجاعتي أخيرًا للنظر، رأيت أن تلك السيارة لم تعد تلاحقني. نجحت الخطوة الأولى من خطتنا. غادرت المبنى وأضعت المتتبعين.

عندما وصلنا إلى الحديقة، انتظرت حتى وصلنا إلى الجزء الأكثر كثافة بالأشجار، بعيدًا عن الأضواء وأي كاميرات قد تكون موجودة حولنا. عندها انسحبت، على الرغم من محاولة المجموعة تشجيعي على البقاء وعرضن التوقف من أجلي لالتقاط أنفاسي. لكن غادرن عندما وعدتهن بأنني سأقابلهنَّ غدًا، ثم رحلن، واختفين وسط ضبابية الألوان الرمادية.

عندما وصلت إلى الغابة، قابلت بيرتي التي استبدلت حقيبتها الرياضية المماثلة بحقيبتي، فقط حقيبتها لم تحتوِ على بيضة بداخلها. لم نتحدث، لكن ببساطة حركنا الحقيبتين في يدَي بعضنا بعضًا ونحن نبادلهما وكلٌّ منا مضت في طريقها. وضعت بيرتي حقيبتها الرياضية في حقيبة ظهرها ورحلت بسرعة وأنا بقيت في مكاني.

كانت الإشارة المُتفق عليها للاستمرار هي النار التي ستشعلها بيرتي في أقصى زاوية من الحديقة التي بقُرب المستشفى. كنت آمل

أن يكون ذلك بمنزلة إلهاء للفريق في أثناء تنفيذ الخطوة التالية في خطتنا. شعرت أن فترة الانتظار قد طالت، وبدأت أتساءل عما إذا كان أحدٌ قد اعترض طريق بيرتي أو إذا كان هناك مَن أوقفها، عندما سمعت صيحات تنادي «دنار!» وانطلقت. ذكرني ذلك بالحريق الذي حصل قبل بضع ليالٍ فقط عندما أشعلت تيلدي النار في الحديقة. إذا كانت بيرتي على حق فيما يتعلق بقصد التنين أن أحصل على البيضة، فربما تكون قد أشعلت تيلدي حلقة النار تلك عمدًا، تمامًا كما فعلت بيرتي الآن، كوسيلة إلهاء أخرى.

سلكت طريقًا في وسط المتنزه يأخذني مباشرةً إلى المستشفى. وفي طريقي حاولت امرأة تحمل طفلها أن توقفني وقالت: «هناك حريق، قد تعود التنين. هل تريدين البقاء معنا؟».

لكنني واصلت الركض.

كانت الخطة بسيطة: عليّ أن أدخل إلى المستشفى ومعي البيضة، ولكن إذا أخذتها وأُلقي القبض عليّ، فستنتهي اللعبة. لذا كان عليّ أن أحاول الدخول إلى المستشفى دون أن يلاحظني أحد دون البيضة، بينما تُشتت النار التي أشعلتها بيرتي انتباه فرقة اكتشاف التنانين. فكرنا كثيرًا كيف ستتمكن بيرتي من إدخال البيضة إلى المستشفى، قبل أن تقترح أن تأخذ أختها بيتي البيضة بينما تشعل هي النار. وعدتني بيرتي بأن بيتي يمكن الوثوق بها، وربما لأن بيتي

كانت في سن جورج، تذكرت كيف ذكرتها في المرة الأولى التي تحدثنا فيها أنا وبيرتي، لذا وافقت على أن تصبح جزءًا من الخطة.

كنت سألتقط البيضة من مخبئها وبيتي ستبقى بالقُرب للتأكد من سلامة البيضة. إذا سار كل شيءٍ على ما يرام فيعني ذلك أن بإمكاني أخذ البيضة وإيصالها لجورج.

شعرت كأنني لم أَرَها منذ فترة طويلة، رغم أن آخر مرة رأيتها فيها كانت منذ بضعة أيام، لكن الوقت كان يمر بشكلٍ غريب منذ مرض جورج. حتى في الأسابيع التي كنت أراها فيها بشكلٍ يومي، لم أشعر أننا كنا نرى بعضنا بما يكفي، وإذا ما فاتتني زيارةٌ ما، كنت أشعر دائمًا كأنني لم أَرَها منذ فترة طويلة.

بينما كنت أسير في ممرات المستشفى، شدَّ انتباهي هدوؤها ولم تتناهَ إلى مسمعي أي رسالة تنبيهية أيضًا. كان آخر شيء وصلني منها هو إصرارها على أن أرسل رسالة إلى صديقتي القديمة في المدرسة زيزي. قلت إنني سأفعل ذلك، لكن جورج ردت برسالة نصية قالت فيها إذا كنت جادة حقًّا يجب أن ترسلي رسالة فورًا. لكنني وضعت هاتفي جانبًا ولم أتواصل مع زيزي. ما الهدف من محاولة الحفاظ على صداقة قديمة مع شخصٍ لن أراه مرة أخرى؟ ربما تعرف جورج أنني لم أفعل ما طلبته مني وتشعر بالانزعاج حيال ذلك، ولهذا السبب التزمت الصمت. لكن جزءًا مني يتساءل ويقلق من أنها قد تسوء حالتها وأن هذا هو السبب الحقيقي لعدم اتصالها بي. هذه الفكرة جعلتني أرغب في الإسراع إليها في أقرب وقتٍ ممكن، ولكن

في الوقت ذاته رغبت في الاختباء بعيدًا عنها، وعدم تصديق حقيقة أنها لا تتحسن.

تسللت عبر رَدْهَات المستشفى مطأطئة الرأس ومعتمرة قبعة في حال التقطتني الكاميرات هناك، تتبعت الممرات المؤدية إلى المقهى الذي يقع في الطابق الأرضي من المستشفى. كان المكان كبيرًا وفي الزاوية توجد بعض الأرائك التي تحتوي على ألعاب أطفال وأشياء من هذا القبيل. كانت النية أن تُخفي بيتي البيضة بين الأريكة والحائط، إذ توجد مساحة تسمح للحقيبة أن تنزلق فيها. عرفت ذلك لأنني فقدت سترتي ذات مرة عندما سقطت هناك، وبقيت حتى اليوم التالي.

بدا إخفاؤها في مثل هذه المساحة العامة أمرًا خطِرًا، لكننا تصورنا أنه قد يكون ذلك أكثر أمانًا وأقل غموضًا من وضعها في مكان به الكثير من الناس. كما اعتقدت أنه إذا بدأت ترتفع درجة الحرارة، فستكون قريبة جدًّا من المخارج بحيث يمكن للناس الهرب بسرعة. غمرتني سعادة كبيرة عند رؤية المقهى مفتوحًا كالمعتاد مع أشخاص يحتسون أكوابًا كبيرة من القهوة ويتناولون البسكويت في مجموعات صغيرة.

عندما وصلت إلى هناك، رأيت أشخاصًا يجلسون على الأرائك،كانت لدينا خطة لذلك أيضًا. ألقيت نظرةً حولي ورأيت فتاة صغيرة تشبه بيرتي كثيرًا، باستثناء أن شعرها طويل ومسرح

تسريحة ذيل حصان عكشة بعض الشيء، تجلس على طاولة قريبة. وبشكل غير محسوس تقريبًا، أومأت برأسها قليلًا عندما رأتني.

قلت للعائلة التي تلعب بالألعاب الموجودة: «تركتْ أختي الصغيرة دميتها هنا».

ردت الأم: «كيف كان شكلها؟ دعيني أساعدك».

- لا، لا بأس. هي دائمًا ما تخفيها في أماكن مختلفة.

هناك جزءٌ مني يحب أن يتذكر مدى قُرب هذا من الحقيقة، كانت جورج تحب دائمًا إخفاء الأشياء عندما كانت صغيرة. ذات مرة فقدت لعبة لفترة طويلة وكانت مستاءة للغاية لدرجة أنها بكت وبكت، حتى أدركنا أنها نسيت أنها كانت تُخفيها تحت سترتها طوال الوقت.

وكشفت عن الحقيبة التي خبأتها بيتي وراودني شعور بالراحة عندما حملتها وأحسست بثقلها.

قلت: «ها هي، شكرًا لكِ».

- آه، هذا جيد، أكره أن يفقد الأولاد الصغار ألعابًا يحبونها.

أومأت برأسي ومشيت وبيدي الحقيبة باتجاه الباب.

حاولت أن أمشي بسرعةٍ طبيعية نحو جناح جورج، لكن لم يكن ذلك يسيرًا خاصةً أن جزءًا مني أراد فقط أن يركض.

وصلت قبل انتهاء ساعات الزيارة بقليل، لذا كان عليّ أن أسرع أكثر لكن دون أن ألفت الانتباه.

وعندما وصلت إلى هناك انطلقتُ نحو غرفة جورج وركضتُ إلى سريرها.

لم أستطع رؤية وجهها لأنها كانت ملفوفة في ملاءة السرير ومتكئة على جانب واحد.

هسستُ: «جورج، هذه أنا».

لم تتحرك على الإطلاق في البداية، لذا اعتقدت أنها قد تكون نائمة، ولكن في اللحظة التالية، جلست على مهل وحدَّقت إليَّ.

همست: «ديارا». ورغم أنني رأيتها منذ أيام قليلة، لكنها بدت منهكة ومتعبة. هناك شيءٌ مفقود منها في هذه الزيارة. نوعٌ من الطاقة، وأدركت حينها أنني كنت أعتبر ذلك أمرًا مسلَّمًا به في كل تلك المرات السابقة التي رأيتها فيها. بدت عيناها باهتتَين، وبشرتها شاحبة.

سألتها: «دهل أنتِ على ما يرام؟».

لم تجب جورج عن سؤالي، لكن بدا أن رأسها ثقيل جدًّا بحيث لا تستطيع حمله.

ركضت إليها وحملتها بين ذراعيَّ وقلت: «كل شيء سيكون على ما يرام يا جورج. سيكون كل شيءٍ بخير. لديَّ شيء سوف يساعدكِ».

نظرت إليَّ مباشرة في عينيَّ، ولأول مرة استطعت أن أقرأ الشعور الذي كانت تخفيه عني في كل المرات التي زرتها فيها من قبل، كانت تبدو خائفة.

- انظري، انتظري لحظة سأحضرها لكِ.

أسندتها للخلف ووضعت وراءها بعض الوسائد وغطيتها بملاءة، ثم سحبت حقيبة بيرتي الرياضية التي أحضرتها من المقهى.

حملت البيضة أمامها بيديّ الاثنتين وسمعت تنفسها عندما رأتها وقالت: «وماذا... كيف؟».

- احمليها. احمليها بنفسكِ.

مدت جورج أصابعها نحو البيضة ولامست أطرافها بحافة القشرة.

ولكن في تلك اللحظة بالذات، سمعت وقع خطوات ثقيلة على طول الممر. سمعت صوت أناس يركضون بسرعة، وكنت متأكدة من أنهم قادمون من أجلي.

12

وضعت البيضة في الحقيبة الرياضية، وقبل أن أودع جورج، اختفيت من الجناح وخرجت من ممرٍّ مختلف. مشيت بسرعة، رغم أنني حاولت كما في السابق ألا أركض. وأنا أسير رأيت بيرتي وهي تطل من المراحيض التي كنت فيها مع البيضة في الليلة الأولى. وعندما رأتني اختفت في المراحيض إلى أن مررت بجانبها. كانت بيرتي مرتدية أيضًا قبعة بيسبول وملابس لم أتخيل قطُّ أن ترتديها، سترة بغطاء رأس مزهرة وسروال أخضر. لحقتني بيرتي في نهاية الممر وكانت تسير بأسرع ما تستطيع.

بعد ثوانٍ، سمعت صوت إنذار حريق في الممر، وسادت حالةٌ من الهلع والذعر من حولي. ومن خلفي، سمعت صيحات «إنها قادمة من دورة المياه الخاصة بالسيدات!»، لكنني لم أنظر إلى الخلف.

بدا الأمر كأن هناك تَدَافُعًا من خلفنا، لكننا لم نتوقف عن السير، والمثير للدهشة أن أحدًا لم يوقفنا. انطلقنا مسرعتين عبر المستشفى، وانضممنا إلى الحشود وصخب الناس الذين هرعوا إلى خارج المبنى، بينما كان صوت الإنذار ينطلق من فوقنا.

خرجنا إلى صقعة الليل، وكنت ما أزال مشدوهةً لما فعلناه أيضًا. وصلنا إلى جورج؛ وأوصلنا البيضة إليها دون أن يُمسكنا أحد. لكنها لم تمسكها بشكلٍ صحيح وأنا أشك في أن لمسها للبيضة بأطراف أصابعها سيُحدث أي فرق في صحتها. في البداية شعرنا أن من المستحيل تحقيق ذلك، لكن تمكنتُ أنا وبيرتي من التفوق على الفرقة ببعض الحيل التي تعلمتْها بيرتي من مشاهدة أفلام التجسس مع والدتها.

تذكرت مرة أخرى مدى اقتراب جورج من البيضة، من الصعب أن أتذكر بالضبط المدة التي تمكنت فيها من لمسها.

قالت بيرتي بأنفاس متقطعة: «لم ينتهِ الأمر بعد. عليّ إيصالك إلى المنزل سالمة».

- شكرًا لكِ ومن فضلكِ بلغي بيتي امتناني.

لكنها رفعت يدها رافضة شكري وتبادلنا الحقائب مجددًا وأصبحت البيضة بحوزتها.

عدت للجزء المظلم من الحديقة الذي تملؤه الأشجار والظلال. للحظة، شعرت بالقلق من البقاء بمفردي في الخارج في الظلام. لكنني وضعت مخاوفي جانبًا، واختبأت خلف إحدى الأشجار وبعد ذلك، انتظرت لحظة للتأكد من عدم وجود أي شخص يتبعني أو قريب مني، وغيرت ملابسي إلى الزيّ الآخر الذي أحضرته معي؛ معطف المطر الذي له غطاء للرأس.

وبعد ذلك ذهبت إلى أحد مطاعم البيتزا الجاهزة وطلبت بيتزا ضخمة تأتي في صندوق ضخم، ثم جاءت سيارة أجرة لتقلني. أوصلتني سيارة الأجرة إلى المبنى الذي أسكن فيه، ودخلت متظاهرة بتوصيل البيتزا. وفي الداخل، التقيت بيرتي التي أخذت حاسوبي المحمول وخرجت مرة أخرى إلى سيارة الأجرة التي كانت تنتظرها كأن ما حصل كان مجرد توصيل شخص عادي الطلبات. تبادلنا البيضة مرةً أخيرة وهمسنا وداعًا سريعًا.

لم آخذ البيضة إلى الشقة، بل إلى الطابق السفلي من المبنى حيث توجد صناديق القمامة.

وجدت مكانًا لإخفاء البيضة، خلف أحد الصناديق الكبيرة، ووجدت نفسي مرة أخرى أتحدث إلى البيضة قبل أن أتركها هناك. كانت تلك فكرة بيرتي، بأن أحاول إبقاء البيضة أقرب إليّ، على الرغم من أنه ليس من الآمن أن أحملها إلى شقتنا. تعتقد أنه بصفتي حارسًا للبيضة،

فإن القُرب مني قد يساعد في زيادة فرص البيضة في الفقس. لا أعرف ما إذا كنت أريد أن أبدأ بالاعتقاد حقًّا بأنني قادرة على التأثير على فرص البيضة في البقاء على قيد الحياة، ومع ذلك، وجدت نفسي أداعب قشرتها برفق وأنا أخفيها وأخبرها أنني سأراها غدًا، وأنها آمنة.

كان كل ذلك هراء بالطبع، ولكنني بطريقةٍ ما لا أستطيع منع نفسي من التكلم، أردت البقاء بجانبها. وأدركت حينها أنني أُفضل أن أخفيها في غرفة نومي، رغم معرفتي أن هذا ليس آمنًا.

قبل أن أخرج من مخزن القمامة، سرحت شعري تسريحة ذيل الحصان وشعرت بنفسي أزفر ببطء. إذ يبدو الأمر كأننا أفلتنا من العقاب. كانت ما تزال سيارة فرقة اكتشاف التنانين في المكان نفسه الذي كانت فيه عندما خرجت مرتدية ملابس توصيل البيتزا؛ وبحسب ما يمكنهم معرفته، لم أغادر شقتي قطُّ.

عدت للداخل، وكان التلفاز ما يزال يعمل كما تركته. وكانت الأخبار تبثُّ القصة الجديدة نفسها مرارًا وتكرارًا. التقطت أنفاسي عندما رأيتها لأول مرة.

في البداية بدا الأمر كأن الكاميرات تدور حول قلعةٍ مهجورة أو شيء من هذا القبيل، ربما خراب. ولكن بعد ذلك أدركت أن ذلك لم يكن قلعة، وليس مجموعة من الطوب، بل تيلدي، آخر التنانين.

المخلوقة الضخمة نفسها التي طارت في الهواء قبل ثلاث ليالٍ أمامي مباشرةً. بدت الآن مستلقية بلا حراك.

عُثر عليها في جزيرة مول. كانت ملتفَّة مثل قطة صغيرة، بلا حراك، رَمادية اللون وجميلة. وميتة تمامًا.

بقيت مستيقظة حتى وقتٍ متأخر من الليل أشاهد التقارير الإخبارية رغم عدم وجود أي جديد يمكن قوله عنها. استمروا في عرض اللقطات نفسها مرارًا وتكرارًا، ثم يقطعون ذلك ليتحدث العديد من الأشخاص المختلفين عن مشاعرهم تجاه التنين.

بُثَّت تصريحات من زعماء من جميع أنحاء العالم، وكان هناك أشخاص يتجمعون حول النقاط التي ظهرت فيها التنين لوضع الزهور. كما ظهر أشخاص يبكون خارج متحف التنين في اسكتلندا الذي زرناه، وأخرى لأشخاص يبكون بجوار حلقة النار في ميلتون كينز. على ما يبدو، كانت ميلتون كينز آخر مشاهدةٍ عامَّة لها قبل اكتشاف جثتها على شاطئ معزول في مول. رآها بعض الصيادين عندما كانوا في البحر، لكنهم جاءوا إلى الشاطئ عندما رأوها.

بدا المكان هادئًا نوعًا ما، محاطًا ببحرٍ رَمادي اللون، لكن هناك شيئًا عنيفًا في الرياح. بالكاد يمكن سماع صوت المراسل. شعرت

بالسعادة لأن تيلدي تمكنت من العثور على جيبٍ صغير في البرية للاستلقاء والاستراحة.

تمنيت أن يعود أبي وأمي حتى نتمكن من مشاهدة ذلك معًا، ولكن عندما شعرت بأن جفوني تكافح من أجل البقاء مفتوحتين، استرخيت في السرير وحاولت النوم. تكررت صورة تيلدي وهي مستلقية على الشاطئ في ذهني مرارًا وتكرارًا.

رأيت شيئًا مظلمًا وثقيلًا في جسدها، والآن انطفأت نيرانها.

13

في الصباح التالي، استيقظت وأنا أشعر بضيقٍ في صدري وتذكرت كل ما حدث في اليوم السابق. ماتت آخر تنين على الأرض، ورغم كل شيء، ما أزال أحتفظ ببيضتها التي كدت أن أعطيها لجورج.

مع موت تيلدي، أصبحت بيضة التنين الأخيرة على الإطلاق.

شعرت برغبةٍ مفاجئة في الذهاب إليها على الفور وأخذها من مكانها المُخبأ بجوار صناديق القمامة. ورغم أن حملها معي أمرٌ خطِر، فإن رغبتي في الاقتراب منها تزداد قوة.

ولكن عندما خرجت من غرفتي، استقبلتني أمي خارج الباب، بابتسامةٍ على وجهها وقالت: «أخبار جيدة».

- ماذا؟

أردفت أمي مبتسمة: «تحسنت حالة جورج».

- ذلك خبر رائع.

وفجأة شعرت بطاقةٍ غريبة بداخلي. ظهر أبي من الحمام وهو ينظف أسنانه.

قالت أمي بينما ضغط أبي على كتفي: «أعلم، هذا أمر رائع. أعتقد أن الأدوية الجديدة بدأت تُظهر تأثيرها».

قال أبي وفمه مملوء بمعجون الأسنان: «أجل وضعها في تحسُّن».

- هذا رائع.

رغم أن كل ما أفكر فيه هو أطراف أصابع جورج وهي تمتد وتلمس قشرة بيضة التنين لبضع ثوانٍ فقط. لا بدَّ أن البيضة هي السبب وراء التحسن المفاجئ لجورج. عندما رأيتها بالأمس، بدت أسوأ، ولا بدَّ أن الأمور بدأت تتحسن بعد أن لمست البيضة.

ولا يسعني إلا أن أتساءل، لو أن مجرد لمسها برفق ساعدها على الشعور بتحسن كبير، فكيف سيكون الأمر لو تمكَّنتْ من حملها، قد تُشفى بعدها تمامًا.

عليَّ أن أتواصل مع بيرتي في أقرب فرصةٍ ممكنة لنناقش كيفية جمع جورج والبيضة معًا مرة أخرى. لا يسعني التفكير في دخولنا إلى المستشفى مرة أخرى دون أن يُكشف أمرنا، كانوا على وشك الإمساك بنا المرة الفائتة، ولكن قد تكون هناك طريقة يمكننا من خلالها إخراج جورج من المستشفى. ربما نأخذها إلى البيضة. ذهني

مملوء بالخطط والأفكار، ولكن تقطع أمي سلسلة أفكاري حين تمسك بيدي. وتسألني: «وبماذا تفكرين؟».

- لا شيء أنا فقط سعيدة لأن حالة جورج تحسنت. أشعر بالارتياح.

- أعلم ذلك. ونريدكِ أن تعلمي أننا نتفهم مدى صعوبة الأمور بالنسبة لكِ.

ونظر أبي وأمي إلى بعضهما بعضًا بقلق. بدا الأمر كما لو أنهما يقولان شيئًا تدرّبا عليه معًا. وطلبت أمي من أبي، الذي كان فمه ما يزال ممتلئًا بمعجون الأسنان: «يا إلهي، اذهب وابصق»، وواصلت أمي: «كان القلق على صحة جورج والانتقال إلى هنا أمرًا عصيبًا. لكنكِ تمكنت من الانسجام والمضي قدمًا، عرفنا أنه يمكننا الاعتماد عليكِ. لطالما كنتِ فتاةً جيدة».

عاد أبي من الحمام وأضاف: «لأجل لطالما بقينا مع جورج على أهبة الاستعداد، لكن يمكننا الاعتماد عليكِ».

تمتمت وأنا أنظر إلى الأرض: «حسنًا، ليس طوال الوقت».

أدركت أننا لم نتبادل مثل هذه المحادثات منذ فترة طويلة، ولم نتحدث بصراحة عن كيف كانت الأمور. في كل مرة تحدثنا فيها، كنا نتحدث عن الوقت الذي ستعود فيه أمي أو أبي للمنزل أو ما تبقى في الثلاجة أو كيف حالة جورج. لم يكن هناك مجال للحديث عن أي شيءٍ آخر.

نظرت إلى أمي وأبي ورأيتهما يبتسمان لي، ويبدو أن كليهما متأكدان من أن كلّ شيء على ما يرام، لكن هناك شيئًا يزعجني.

قالت أمي: «سيستقر وضعها، أنا متأكدة من ذلك».

أومأ أبي برأسه.

رغم أنني علمتُ أنهما يريدان طمأنتي ويحاولان جاهِدَين أن يكونا لطفاء معي، فإنني فجأة شعرت بذلك الشعور المألوف بالغضب المتقد الذي يتراكم بداخلي. وشعرتُ به يسيطر على جسدي.

لا أريد أن أكون الفتاة الطيبة، لا أريدهما أن يعتمدا عليّ بشيء. كل ذلك صعب وأريد أن يدركا ذلك.

حاولت السيطرة على الشعور المشتعل في داخلي، ولكنني أحسست به يتصاعد إلى أعلى وأعلى. أردت أن أدفعه إلى الخارج، كان الشعور نفسه الذي شعرتُ به عندما دفعت كتب السيد لوتون على الأرض ولكن لا يوجد ما أدفعه الآن، لا يوجد سوى أمي وأبي يقفان أمامي.

قلت: «مهلًا لحظة، هناك شيءٌ في عيني». وضعت إحدى يديّ على وجهي وركضت إلى الحمام، وأغلقت الباب خلفي.

وسمعت أمي وأبي يُحدثان أصواتًا مُحيّرة، وذهبا بعد ذلك إلى المطبخ، وسمعت صوتَ تشغيل الغلاية.

عندما نظرت إلى وجهي في مرآة الحمام، أخذت نفسًا عميقًا، حتى شعرت بأن فورة غضبي تهدأ. لكنها لم تتركني تمامًا، وظللتُ أعود

للفكرة المزعجة نفسها؛ لا أريد أن أكون فتاةً جيدةً، شعرت فجأة أنني لا أستطيع تحمُّل ذلك.

ولكن بعد ذلك، تذكرت ما تمر به جورج وأمي وأبي أيضًا، ففسلت وجهي بالماء البارد وجففته بمنشفة. شعرت بعدها أن بشرتي أصبحت خشنة بعض الشيء. قلت لنفسي إنه ينبغي أن أكون فتاةً جيدة وأُصلح الأمور.

وعندما فتحت باب الحمام ظهرت أمي بسرعة وسألت: «هل أنتِ على ما يرام؟ هل أزلتِ ذلك الشيء من عينكِ؟».

فتذكرت كذبتي عن شيءٍ دخل في عيني وأومأت برأسي.

- أجل إنها نظيفة الآن.

- جيد، سررت لأنك بخير.

وأومأت برأسي مجددًا. فقالت أمي: «كنت أفكر، لا بدَّ أنكِ تفتقدين أصدقاءكِ القُدَامى أيضًا. كنت أنتِ وزيزي مقربتين جدًّا. ربما يمكنكِ دعوتها للمجيء والبقاء معنا، أو يمكننا إيجاد مكانٍ ما، يمكن أن تلتقيا فيه».

- ذلك وارد، لكنني أظن أنني شكَّلت صداقات جديدة.

وبقولي ذلك أدركت إنني أقول الحقيقة.

قالت أمي ببهجة: «حقًّا؟ ذلك رائع يا يارا حقًّا رائع. تلك هي ابنتنا الجميلة».

مرة أخرى، استطعت أن أشعر بشعورٍ غير مريح ومريب ينتابني من جديد، لكنني حاولت تجاهُله. فقلت: «إنه أمرٌ لطيف. لم أقصد ذلك لأن هناك الكثير مما يحدث مع جورج، لكن الأمر حدث للتو و...».

أوقفت نفسي بسرعة لأنني كنت على وشك البدء في الحديث عن مدى فائدة الحصول على الكثير من المساعدة فيما يتعلق بالبيضة.

نظرت أمي إليّ بترقب ولكن عندما توقفت عن الكلام، ضغطت على يدي فقط. وسألت: «هل رأيت الأخبار عن التنين؟».

- أجل، عُرض ذلك على جميع المحطات.

- لا أصدق أنها رحلت حقًّا. أعلم أنها كانت كبيرة بالسن، لكن ما يزال من غير المعقول أنها لم تعد هنا حقًّا. لم يعد هناك تنانين.

- أجل لم يعد هناك تنانين.

لكن تساءلت إن كان ما تظنه بيرتي بشأن الوَصي على البيضة حقيقي. هل يمكن أن يكون هناك تنينٌ آخر؟

نزلت إلى مجمع القمامة لأخذ البيضة معي إلى المدرسة. ما يزال لديّ بعض التخوف من ذلك فقط في حالة قدوم فرقة اكتشاف التنانين مرة أخرى وأخذي لطرح الأسئلة. إذا فعلوا ذلك وكانت البيضة في حقيبتي، فسيجدونها على الفور.

لكن النظرية الأخرى التي أخبرتني بها بيرتي كانت تدور في ذهني أيضًا: وهي أن البيضة تحتاج إليّ بطريقةٍ ما، وعليّ أن أظهر كحارس لها لإعطائها فرصة للفقس.

وضعت البيضة في حقيبتي، ولففتها في سترة جورج القديمة التي التقطتها عندما غادرت ذلك الصباح. خرجت من المبنى عبر موقف السيارات في الأسفل، على أمل إن أتوا لأخذي وأنا في طريقي إلى المدرسة، يمكنني أن أضللهم ببساطة بسلْكِ طريقٍ مختلف إلى المدرسة.

ركضت في مسار قادني إلى طريقَين رئيسَين. استغرق الوصول إلى المدرسة وقتًا أطول، لكن كان ذلك طريقًا نادرًا ما أسلكه، لم يوقفني أحد في الطريق. وشعرت بالارتياح عندما وصلت إلى المدرسة في الوقت المناسب لأخذ البيضة إلى خزانة غرفة التأمل. عندما وصلت إلى هناك، تسلَّلَت بيرتي من خلف الباب وتبعتني إلى الداخل.

أغلقت بيرتي باب الغرفة ونظرنا إلى بعضنا بعضًا وابتسمنا وتنهَّدنا في الوقت نفسه.

قلت: «شكرًا لكِ على مساعدتكِ البارحة. ما كنت لأستطيع فعل ذلك لولاكِ أنت وبيتي».

ردت بيرتي: «لا مشكلة. أحبّت بيتي الأمر، ربما أكثر من اللازم. أعتقد أنها تريد أن تصبح جاسوسة أو محققة خاصّة عندما تكبر. ولكن كيف حال جورج؟ هل لمست البيضة؟».

- لم تمد يدها إلا للحظة قصيرة قبل أن يصلوا. لكنها في الواقع أصبحت أفضل بكثير. وإذا كانت البيضة هي التي جعلتها أفضل، فهذا يعني أن تأثيرها قويٌّ جدًّا لأنها بالكاد لمستها.

- واو، هذا أمرٌ لا يُصدق. أتساءل عما إذا كنت أشعر بأنني أقوى قليلًا بسبب وجودي حولها. هل تشعرين أنتِ بذلك؟

- لا أعلم. لم أفكر في الكيفية التي قد تؤثر علينا. ولكن الآن بعد أن قلت ذلك، عندما خرجت للركض من الشقة أمس مع نادي الجري، شعرت بشعور جيد حقًّا. وعادةً ما أجد هذا النوع من الأشياء تافهة وأرغب في التوقف عن الجري فورًا.

- حسنًا، لم يجروا أبحاثًا كافية على البيض لأن عددهم قليل جدًّا.

أومأت برأسي متذكرة أن جورج قالت الشيء ذاته وسألت: «كم بيضة وضعت تيلدي؟».

- خلال الثلاثمائة عام التي عاشتها، وضعت ثلاث بيضات، بما في ذلك بيضتكِ. ووضعت أمها خمس بيضات، فقست منها واحدة منها، وكانت تيلدي، وقبل ذلك كانت السجلات غير دقيقة إلى حدٍّ كبير.

كررت: «ثلاث بيضات فقط»، ووضعت يديَّ على الفور على حقيبة الظهر القديمة المهترئة التي توجد بها البيضة الثالثة والأخيرة لتيلدي.

- لا أعرف كيف سنعيد البيضة إلى جورج. لكن عليَّ أن أحاول مرة أخرى. خاصةً إذا تحسنت حالتها من مجرد لمسة بسيطة.

- فرقة اكتشاف التنين قد تستجوبكِ مرة أخرى بعد ما حدث بالأمس، لذا سيتعيَّن عليكِ البقاء بعيدة عن الأنظار لفترة من الوقت وتوخِّي الحَيْطة والحذر بشأن تحريك البيضة.

- نعم، لديَّ شعور بأنهم سيأتون اليوم أيضًا. لكن أعتقد أن المكان آمن هنا.

وأشرت إلى الأرفف وأردفت: «لكن سيتعين عليَّ أن أجد مكانًا أفضل من صناديق القمامة أو منحدر التزلج».

أومأت بيرتي برأسها ظنًّا منها أن كل شيءٍ انتهى لكنها قالت في الأخير: «يا لها من خطة مجنونة!».

- ما هي؟

- لا أعلم لكنها قد تكون خطة خطِرة للغاية.

- حسنًا، لقد فكرت في الأمر بالأمس عندما خرجت من الشقة وعُدت لها، كانوا يراقبون المستشفى، وكانوا قريبين جدًّا من العثور على البيضة. أعتقد أننا بحاجة إلى القليل من الجنون الآن.

- حسنًا، سنظل نعاني المشكلة نفسها، أليس كذلك؟ في كل مرة تذهبين فيها إلى المدرسة أو المنزل، يتعين عليكِ إخفاء البيضة حتى لا يُكتشف أمركِ.

أومأت برأسي، فأكملت بيرتي: «إلا... إلا... إن اختفيتِ».

قلت على الفور: «لا يمكنني فعل ذلك. أي لا يمكنني التصرف على هذا النحو. وكيف سأفعل ذلك. وماذا عن والديَّ وعن جورج...».

قالت بيرتي بسرعة: «يمكنكِ إرسال رسالة إلى جورج لتعرف أنكِ بخير».

- ستكونين أكثر أمانًا مما أنتِ عليه.

وبينما نحن نتحدث رن الجرس معلنًا قدوم المعلمين لذا خبأت البيضة.

سألت بيرتي: «هل ستذهبين إلى غرفة الاحتجاز اليوم؟».

- أجل سيكون ذلك حجة جيدة للبقاء والاطمئنان على البيضة.

أردفت بيرتي: «سأحاول التفكير بشيءٍ آخر».

- علينا أيضًا أن نفكر في كيفية القيام بذلك. أنا لا أقول إنني سأختفي، ولكن إذا كنتُ، فكيف سأفعل وهل هذا ممكن؟

- سأفكر بذلك. نهاركِ سعيد.

أومأت برأسي وغادرنا الغرفة. ولكنني شعرت كأنني على حافة الهاوية. هل أستطيع حقًّا أن أختفي؟ وإذا فعلت ذلك، فكم من الوقت سأحتاج إلى الاختفاء؟ يُرعبني ما ينتظرني.

ولكن بينما كنت أتجه نحو الممر، رأيت شخصيةً مألوفةً في الأفق. كان ذلك الرجل من فرقة اكتشاف التنانين الذي لم يصدقني. ذلك الرجل العملاق الذي كان هناك في الليلة الأولى التي عثرت فيها على البيضة.

كان يتحدث مع معلمتي السيدة جيل التي بدت متوترة بسببه ونظرت نحوي.

قال لي عندما رأيته بنبرة ودية: «ديارا! كنت أشرح للمعلمة فقط كيف ستأتين معي لمساعدتنا في تحقيقاتنا».

ردت السيدة جيل: «علينا الاتصال بوالديها».

السيدة جيل صغيرة الحجم لكن عنيدة. وحدجتني بنظرةٍ قاسية.

- أوه، هذا ليس ضروريًّا، نحن لسنا الشرطة. سنطرح بعض الأسئلة غير الرسمية كجزءٍ من تحقيقنا، ستعود بعد أقل من ساعة.

كررت السيدة جيل: «لا، يارا لن تذهب إلى أي مكان إلا مع والديها أو وصيٍّ آخر. ومن الواضح جدًّا أنك لست وصيًّا، لذا سأطلب منك للمرة الثالثة الآن أن تغادر».

استطعت سماع مجموعة المعلمين من خلال الباب المفتوح وهم يطلقون صيحة «دأوه» عندما انتهت من الحديث. يعلم الجميع أنه لا يمكنك العبث مع السيدة جيل. حتى الرجل جفل قليلًا وتراجع خطوةً إلى الوراء. قال: «حسنًا، سنتصل بوالدَي يارا مباشرةً ونرافق أحدهما ليأتي ويأخذها. أنا متأكد، كما قلت، إنهم يريدون معرفة كل ما تفعله ابنتهما».

عندما قال 'كل شيء' ضيَّق عينيه ونظر إليّ بنظرة ذات معنى.

في تلك اللحظة أدركت أنني يجب أن أذهب معه فقلت: «لا عليكِ سأذهب معه».

قالت السيدة جيل بنبرة مؤنبة: «يارا!».

- لا، لا بأس. لقد تحدثت معه من قبل ووالداي يعرفان كل شيء.

وحاولت أن أبدو مرتاحة في الأمر كما لو أنه اقترح تناول كوب من الشاي بدل الاستجواب. قال الرجل وهو يتقدم إلى الأمام مرة أخرى حتى أصبح أطول من السيدة جيل: «لدينا السلطة لأخذ قاصر تبلغ من العمر اثني عشر عامًا أو أكثر إذا وافقتْ».

قالت السيدة جيل وهي تحدق إلى عينيه: «لا أهتم بقواعدك. إنها المدرسة. يارا في المدرسة. وأنا مسؤولة عنها هنا».

فجأة، سمعت صوتًا مرتفعًا قليلًا في الممر، ورأيت ظلّ السيد لوتون يقترب منا.

قال وهو يشاهد ويحاول أن يفهم ما يحدث: «ما الأمر؟».

أجاب الرجل: «أنا من فرقة كشف التنانين، لقد تحدثنا من قبل، عندما احتجت إلى أخذ يارا تشيونج للاستجواب. إنه البروتوكول نفسه. وأتذكر أنك كنت متعاونًا للغاية، على عكس زميلتك».

واستطعت أن أرى السيد لوتون يُجاهد ليتذكر ذلك.

همَّست السيد جيل قائلة: «كولن، لا يمكنهم الدخول واصطحاب الأطفال. لم توافق على ذلك، أليس كذلك؟».

غضب السيد لوتون لوهلة لكنني لمحتُ نظرةَ ندم وخجل في عينيه.

قال الرجل وهو يغادر: «هيا بنا يا آنسة تشيونج».

نظرت إلى السيدة جيل والسيد لوتون وتأملت حشود الطلاب الذين بدأوا يملؤون الممر الآن بعد انتهاء التسجيل. آمل أن أتمكن من إلقاء نظرة خاطفة على بيرتي. إذا رأت أنهم أخذوني مرة أخرى، فربما تتمكن من فعل شيءٍ ما.

لكنني لم أرَها، وشعرت برأسي ينحني وأنا أحدّق إلى الأرض، وتبعت خطوات الرجل الثقيلة على طول الممر.

استطعت أن أسمع السيدة جيل وهي تقول: «كولن، اتصل بالأمن!»، لكنني أعلم أن الأمن هو السيد أوكونيدو العجوز ولن يكون بوسعه أن يفعل الكثير. لا أحد يخاف منه، حتى أنا. «أحضِر السيدة بينسون إلى هنا»، كان هذا آخر شيءٍ سمعته منها. ورغم أنني واصلت السير، وتحركت ببطء وأنا أتبع الرجل، فإنني أعتقد أنها

على الأقل وقفتْ بجانبي، وغمرتني فرحة طفيفة من هذه الفكرة وأنا أسير.

بدت مثل السيارة التي أخذوني فيها المرة الأولى.

شممت رائحة الليمون الصناعي نفسها التي تملأ الهواء وكان المقعد يبدو جلديًّا وباهظ الثمن تحتي. عندما وصلت إلى المكاتب، أفرغت جيوبي وحقيبتي بطاعة عند الماسح الضوئي، كما فعلت من قبل.

هذه المرة، لم تكن روز موجودة، أخذوني إلى الغرفة البيضاء بمفردي. انتظرت هناك لمدة عشرين دقيقة تقريبًا، بدت أطول ولكنني كنت أراقب الساعة. شعرت بالبرد على المقعد الأبيض الصلب وأحسست أن هناك مَن يراقبني، لذا حاولت أن أكون هادئة قدر الإمكان.

أخيرًا، دخل الرجل العملاق، واندفع عبر الباب. كان أحدبَ، وكما يحدث مع السيد لوتون، يمكنني الشعور أنني أُزعجه لمجرد وجودي هناك.

لم ينظر إليّ ولم يجلس، بل كان مشغولًا بهاتفه. شعرت أن هناك جزءًا مني يريد أن ينهار، يريد أن يصرخ ويرمي بنفسه على المكتب. كان ذلك شعور الغضب نفسه الذي بدأ يتصاعد بداخلي كل مرة، لكنني

فكرت بالبيضة التي تنتظرني في خزانة غرفة التأمل وتمالكتُ نفسي. تظاهرت بعدها بالجلوس بصبر وانتظرت أن تهدأ فورة غضبي.

سأل في النهاية على نحو مفاجئ: «أين البيضة؟».

- لا أعلم.

سأل مجددًا: «أين البيضة؟».

كررت: «لا أعرف، انظر، إذا كنت ستسألني السؤال نفسه مرارًا وتكرارًا، فسوف يصبح الأمر مملًّا للغاية».

قال وهو يحكُّ أنفه: «حسنًا يا يارا، دعينا نوضح شيئًا ما. لقد عرضت عليكِ بعض المساعدة إذا استطعت إحضار البيضة إلينا. مساعدة لأختك المريضة، والمال... أشياء جيدة، وأشياء لطيفة، أشياء ستساعدكِ أنتِ وعائلتكِ. ولكن إن لم تساعدينا، لن نحرمكِ من كل هذه الأشياء فحسب، بل يمكننا أيضًا أن نجعل الأمور قليلًا، لا، ما أتحدث عنه... أكثر صعوبة للجميع».

- ما الذي تحاول قوله؟

- دعينا نقول فقط إذا كنت تعتقدين أن الأمور صعبة الآن، فلدينا القدرة على جعل الأمور تبدو الآن كأنها عطلة أو نزهة في الحديقة مقارنةً بما سيحدث.

لم أُقدِّر تَوعّده وتهديده، وشعرت بالغضب نفسه يشتعل بداخلي.

- هل يجعلك هذا تشعر بالارتياح؟ عندما تُهدد شخصًا وتحاول أن تجعله يشعر بالصغر؟

- انظري. أعطِنا البيضة فقط. كل هذا...

ولوّح بيده في الهواء كأن تهديداته مجرد دوائر من الغبار في الهواء وأكمل: «سوف يختفي. وبدلًا من ذلك، ستحصلين على مكافأة. بالمناسبة، كيف حال أختكِ؟».

هنا ازدردتُ ريقي وحاولت أن أغير صورة جورج التي في ذهني منذ المرة الأخيرة التي رأيتها فيها هناك «البيضة ليست معي. لا أستطيع إعطاءك شيئًا لا أملكه».

ثم نظر إليّ، ورمقني بنظرةٍ حادة. لمعت عيناه قليلًا وهما تبحثان في عينيّ. أعلم بطريقةٍ ما أنه يعرف أنني أكذب وأن البيضة معي، وأنني أخفيها، وأنني سأحاول إخفاءها مرة أخرى.

- حسنًا، يارا. شكرًا لكِ على وقتك. استعدي لأن الأمور ستصبح أسوأ كثيرًا.

ثم تَدَافَعَ الناس إلى الغرفة، وأعادوني إلى السيارة نفسها التي جئت بها.

عدت للمدرسة وجاءت السيدة جيل للبحث عني. سألتني إذا كنت بخير فأومأتُ برأسي وأخبرتُها أنني بخير رغم أن العكس هو الصحيح.

شعرت بالغضب الشديد بسبب التهديدات التي وجهها لي رجل الفرقة، ولا أعرف ماذا أفعل.

سألت: ««هل أنتِ متأكدة؟».

- أجل كل شيءٍ سيكون على ما يرام.

كذبت على نفسي بقولي ذلك. لكن بدا أنها لم تصدقني أيضًا.

14

استُدعِيتُ في منتصف درس التربية البدنية، وهو ما قد يكون أمرًا جيدًا لأننا كنا نركض حول ملعب كرة القدم للتدرب على الركض لمسافاتٍ طويلة. لكن بعد ذلك رأيت وجه السيدة جيل.

قالت: «ديارا لديكِ اتصال هاتفي». وفكرت فورًا بجورج وشعرت أن قلبي على وشك التوقف.

«إنها أمكِ»، وبدا كأنها شعرت بالقلق الذي انتابني، فمشيت بسرعة نحو المكتب والهاتف الذي كان ينتظرني. كنت أسرعُ بكثيرٍ من سرعتي في أثناء التجول في الميدان.

قلت بمجرد أن رفعت السماعة: «أمي، هل يتعلق الأمر بجورج؟».

- لا يا عزيزتي، لا يتعلق الأمر بجورج. ولكنني أردت أن أخبركِ في حال ذهبت إلى المنزل أولًا. لقد تعرَّضت شقتنا للسرقة وسُرقت الكثير من الأشياء.

حاولت أن أستوعبَ ما قالته عن السرقة وفقدان أشياء. لكن تمكنت في النهاية أن أسألها: «هل أنتِ على ما يرام؟».

- أنا بخير يا عزيزتي، اتصل بي أحد الجيران عندما رأى أن الباب كان مفتوحًا. أنا مع الشرطة الآن وعليّ انتظار صانع الأقفال. ثم سأذهب إلى رؤية جورج في المستشفى، اتفقنا؟ لن تتمكني من دخول الشقة بمفتاحكِ القديم. سنعود للمنزل معًا. وأردت أن أخبركِ أنهم أخذوا الكثير من الأشياء التي تعتقدين أنها ليست ذات قيمة كبيرة بالنسبة إليهم. لكنها ثمينة بالنسبة إلينا.

- ما هي هذه الأشياء؟

- حسنًا، أشياء غريبة. أخشى أنهم أخلوا غرفتكِ بالكامل تقريبًا. أنا آسفة جدًّا يا حبيبتي. لكن ملابسكِ وكتبكِ وجهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بكِ، وحتى صناديق الألعاب القديمة التي لم نُخرجها من الصناديق بعد. أخذوا أيضًا أشياء عادية مثل مجوهراتي والتلفزيون، وأشياء غريبة مثل مئزر والدكِ.

أومأت برأسي رغم شعوري بالفراغ في داخلي. إنهم هم، إنهم يفعلون ما قالوا إنهم سيفعلونه بالضبط. يجعلون حياتنا أكثر

صعوبة، وهذه كانت البداية فقط. لكنني ازدردت ريقي بصعوبة وقلت: «لكنكِ بخير؟».

- أجل يا عزيزتي، أنا بخير. مصدومة قليلًا لكنني بخير.

- وهل جورج على ما يرام؟

- نعم، إنها... بخير.

لكن هناك شيءٌ منع أمي من قول إنها بخير، ثم أدركت أن السبب هو أنها ليست بخير. جورج ليست بخير في الوقت الحالي، إنها ليست بخير.

وقالت أمي: «سنسوي كلّ شيء، ويمكننا استعادة كل شيء من خلال التأمين، لكنني أعلم أن الأمر لن يكون كما كان من قبل، وهذا أمرٌ صادم».

قلت بصوتٍ متهدّج وبعينين دامعتين: «حسنًا يا أمي، كل شيءٍ سيكون على ما يرام».

أدركت حينها أن هذه ربما تكون المرة الأخيرة التي سأتحدث فيها معها لمدة لا أعرف مدتها. وبينما كانت تتحدث، أدركت أن بيرتي كانت محقة، يجب أن أرحل.

- عليّ الذهاب. لكن سأراكِ لاحقًا يا صغيرتي. أراكِ في المستشفى.

- إلى اللقاء يا أمي. أحبكِ.

- وأنا أحبكِ أيضًا. سنتخطى كل ذلك. اتفقنا؟

- اتفقنا.

أغلقت أمي الهاتف أولًا وانتظرت هناك لحظة وأنا أضع الهاتف على أذني. لا أريد أن أتركه.

ليس لديَّ أي موارد، ولا أموال لأصبح غير مرئية. لكن بيرتي على حق. عليَّ أن أختفي، وكلما أسرعنا كان ذلك أفضل.

تخيلت لو أنني هربت من المنزل بالفعل، هنا والآن، أين يمكنني أن أذهب؟ هناك شابٌّ بلا مأوى أراه أحيانًا بجانب متجر على الزاوية أتساءل أين ينام حقًّا؟ أين يذهب إلى الراحة؟ لقد دهشت، وليس للمرة الأولى، من كيفية تدبر أمره دون منزل، دون سرير، دون كل الأشياء التي كنت أعتبرها أمرًا مسلَّمًا به التي كانت دائمًا موجودة من أجلي.

أشعر بالحيرة تمامًا بشأن المكان الذي سأذهب إليه إذا خرجت من المدرسة ولم أعد للشقة. ذات مرة، جعلتني جورج أهرب معها عندما كانت صغيرة، وكانت جادة للغاية بشأن الأمر برمته. حزمنا الحقائب وأخذنا الطعام من الخزانة. لا أتذكر الآن سبب رغبتها في الهرب، فقد كان ذلك بسبب خلافٍ بسيط مع أمي. لكنني شعرت أن عليَّ الذهاب معها، لأنني كنت متأكدة من عزمها على المغادرة بمفردها.

في مغامرتنا الكبرى للهروب، وصلنا إلى نهاية طريقنا القديم حيث كانت هناك إشارات مرور عندما توقفت جورج فجأة وقالت: «لا أعرف إلى أين نحن ذاهبتان».

ونظرنا إلى حركة المرور التي كانت مسرعة في كلا الاتجاهين.

قلت بعد نحو خمس دقائق من وقوفنا هناك: «هل نعود للمنزل؟».

إذ بدأت حقيبة الظهر التي أحملها تضغط على كتفيّ قليلًا، وشعرت ببرودة وحكة حول رقبتي بسبب الوقوف دون حراك في الخارج لفترةٍ أطول قليلًا من المعتاد.

قالت جورج: «حسنًا». وعندما وصلنا إلى المنزل، استطعنا أن نشم رائحة الكعكة الدافئة في الهواء وكانت أمي هناك في المطبخ. اعتذرت لجورج، التي غرقت بين ذراعيها عند احتضانها، وعندما سألتنا عمَّا كنا نفعله، تبادلنا نظرةً كنا نعلم فيها أننا لن نقول أبدًا ما حاولنا فعله. لم يكن الأمر أننا حاولنا الهروب فقط، بل أدركنا أنه لا يوجد مكانٌ آخر لنا لنكون فيه سوى المنزل. لم نرغب في إفساد وجودنا في المنزل بالاعتراف بأننا هربنا منه. هذا ما شعرتُ به حيال الأمر.

ولكن من الصعب الآن التفكير في الذهاب، لأن الأمر لا يتعلق فقط بضرورة مغادرة المنزل، بل يتطلب الأمر وجودي في مكانٍ لا يمكن لأحد أن يعثر عليّ فيه. وبطريقةٍ ما، يتعين عليّ أن أتمكن من التسلل بعيدًا، دون أن يراني أحد، وأن أظلّ على هذا النحو لفترة

معينة من الوقت. هناك برامج تلفزيونية كاملة يحاول فيها الناس القيام بذلك، ولكنهم دائمًا ما يُقبض عليهم. وربما تستطيع جورج أن تنصحني بكيفية فعل ذلك على النحو اللائق، وأنا متأكدة من أن هذا أحد البرامج التي تشاهدها أحيانًا. وإذا خرجت هي من المستشفى يومًا ما، فسوف تكون لديها المهارات اللازمة للكذب في أي قصة، والاختفاء إذا اضطرت إلى الهرب. ولكن أنا هنا والآن، ليس لديَّ ما أقدمه.

كل ما أملكه هو بيضة تنين بجانبي، وأعرف بأنها ستكون مرافِقتي الوحيدة في هذه الرحلة.

15

انطلقت نحو الحديقة بعد المدرسة. فهناك بدأ كل شيء. ذهبت إلى غرفة الاحتجاز لكن بيرتي لم تكن هناك كما اتفقنا.

بعد ذلك، استعدت البيضة وغادرت المدرسة، وأنا على دراية أن فرقة اكتشاف التنانين تلاحقني. مشيت في طريقي المعتاد نحو المستشفى، ولكن في اللحظة الأخيرة، انحرفتُ نحو الحديقة. تركت هاتفي في المدرسة، لذا لا يمكن أن يتتبعني أحد في هذا الاتجاه، ولكن قبل أن أضعه في خزانتي، كتبت ثلاثة أرقام على قصاصة من الورق؛ جورج وأمي وأبي.

ركضت بسرعة في زقاق كنت أعلم أنه سيؤدي إلى طريقٍ مختصر، وأخذني إلى الحديقة؛ كنت آمل أن يكون ذلك كافيًا لأفقد الأشخاص الذين يتبعونني.

عندما سلكت الحديقة، انحرفت نحو أحد المسارات التي تقود إلى الجزء المحاط بالأشجار. استبعدت فكرة تمكُّنِهم من اللحاق بي، لكن لم يسعني إلا أن أتساءل مع كل شخص أمرُّ به عما إذا كان قد شارك في مراقبتي أم لا. لم أستطع التخلص من ارتيابي ولم أعرف ما إذا كنت حذِرة بشكل مفرط أو أنني لم آخذ بعد احتياطي بما فيه الكفاية.

عندما غصت بين الأشجار، اختبأت خلف شجيرتين ثم انتظرت لبضع دقائق، حاولت أن أظل ساكنة وهادئة قدر استطاعتي. لم يظهر أحد آخر، وبعد هُنَيْهة، خلعت حقيبتي من على ظهري وفككت سحاب الحقيبة لإخراج البيضة.

شعرت بالحاجة والرغبة بالإمساك بها بين يديَّ، رغم علمي خطورة ذلك. فإذا مُسكت في هذه اللحظة فلن أتمكن من الهرب، وستظهر البيضة وسينتهي كل شيء. ولكن الشعور بأنني كنت بحاجة إلى الإمساك بها تغلَّب على كل الأسباب الأخرى، وبمجرد أن وضعت يديَّ حول القشرة الدافئة المتماسكة، شعرت بنفسي أتنفس كأنني كنت أحبس أنفاسي طيلة هذا الوقت.

بدت البيضة مثلما رأيتها للمرة الأولى، كأنها تتوهج بشكلٍ طفيف في ظل الشجيرات. كانت دافئة ومريحة بشكلٍ غريب. شعرت كأنني بعيدة عن المنزل، بعيدة عن الجميع.

لم أدرك حتى تلك اللحظة أنني أشعر بقليل من البرودة، ولكن عندما أمسكت بها، كان الأمر أشبه بحمل كوب دافئ من الشوكولاتة الساخنة، بدا الأمر كما لو أنها تُدفئ أكثر من يديَّ. شعرت بحرارتها

تنبض في جسدي، كان كل جزءٍ مني قادر على الاستمتاع بدفئها ولو للحظة. أعلم بطريقةٍ ما أنها لن تسخن كثيرًا، مثل البيضة في المتحف، ولكنها في الواقع تدفئني فقط. كما لو أنها تعرف أنني هناك وأنني بحاجة إلى بعض الراحة.

وفي تلك اللحظة شعرت بها

ارتعشت البيضة بين يدي

تلك كانت حركة مُحددة لا لبس فيها.

يوجد شيءٌ ما داخل البيضة

هناك شيءٌ يتحرك، شيءٌ على قيد الحياة.

ولصدمتي من الشعور بذلك، كدت أن أسقط البيضة، لكنني تمكنت من إمساكها. ثم وضعتها بالقرب مني، وتساءلت وكُلي أمل أن تتحرك مرة أخرى.

احتضنتها بين ذراعيّ وركزت بشدة في محاولة استشعار أي حركة أخرى، لكنني لم أشعر بأي شيء. وبقيت البيضة ثابتة بعناد.

تردَّد صدى كلمات بيرتي في ذهني. أعتقد أن البيض كان بحاجة فقط إلى البقاء مع الأوصياء. لهذا السبب لم تفقس بيضة من قبل.

سمعتُ نفسي أتحدث بصوتٍ عالٍ إلى البيضة وأقول: «أوه، رائع. الآن يجب أن أحافظ على سلامتكِ، ليس فقط للحفاظ على سلامة جورج ولكن لأنك حقًّا هناك، وقد تفقسين بالفعل».

ارتعشت البيضة مرة أخرى كأنها تستطيع سماعي. فقلت بسرعة: «هل يمكنكِ سماعي؟ هل تستطيعين سماعي؟».

هذه المرة كانت الحركة عنيفة وقوية. ومرة أخرى، كدت أفقد السيطرة عليها عندما شعرت بها تنبض بين يديّ.

- مهلًا على رسلكِ. لا أريد أن أكسر قشرتكِ قبل موعد خروجكِ. لكن إلى متى عليّ حمايتكِ ومتى ستفقسين؟

لم أتوقع إجابة، لكن التحدث إليها يساعدني. فهذا يجعلني أشعر بأنني لست وحيدة. هذه المرة، تحركت البيضة قليلًا. استطعتُ أن أتخيل التنين بداخلها يتحرك من جانب إلى آخر، ويحدّقُ إليّ.

شعرت بالسعادة لوجودي بين الأشجار في الحديقة وأنا أحدّقُ إلى البيضة. لم يمر أحد من أمامي، ورغم إدراكي أنني ما زلتُ قريبة من صخب المحلات التّجارية ووسط المدينة، فإنني أشعر بالامتنان لهذه البقعة الصغيرة من الخضرة حيث يمكنني أن أكون بمفردي مع

البيضة. خطرت ببالي فكرة ضرورة العثور على مكانٍ أفضل للبيضة الآن، مكان حيث يمكن للتنين الصغير أن يكون بريًّا وحرًّا، ولا أعرف أين يقع ذلك المكان. كما قالت أمي منذ فترة طويلة، عندما تحدثنا عن عدم وجود مساحة برية كافية في العالم لتيلدي بعد الآن، هل توجد حقًّا المساحة التي يحتاج إليها التنين؟

لا أعلم كم من الوقت سأبقى هناك ممسكة بالبيضة. لم تتحرك مرة أخرى لكن حرارتها بقيت، وشعرت بالشعور نفسه الذي انتابني عندما التقطتها لأول مرة -أنني لا أريد أن أتركها، ولا أريد أن أفترق عنها- ولهذا بقيتُ هناك منتظرة أن يمرَّ هذا الشعور.

16

سيطر الجوع عليّ رغم أنني حاولت تجاهله.

أصبحت الحديقة أكثر ظلمة، واشتدت حلكة المساء، وعادت البيضة لبرودتها وسكونها مرة أخرى. قلبتها بين يديّ وتساءلت عما إذا كنت قد تخيلت أنها تحركت؛ فالوقت الذي شعرت فيه بيقينٍ تام من وجود شيءٍ بداخلها بدا بعيدًا عني الآن.

فكرت مجددًا في خياراتي المحدودة فيما يتعلق بالأماكن التي يمكنني الذهاب إليها وما يجب أن أفعله، ولكنني كنت أتعثر بالمشكلة نفسها. إن فرقة اكتشاف التنانين في الخارج للقبض عليّ، وأي مكان أذهب إليه يعرضني أنا والبيضة للخطر ويمكن أن يُعثر عليها. ولكنني بحاجة إلى العودة إلى المستشفى حتى تتمكن جورج من حمل البيضة، وإلا فما الفائدة من إبقائي عليها آمنة طوال هذا الوقت؟

قلت لنفسي إنني يجب أن أحاول تجاهُل أمر تحرك البيضة، وأن أتجاهل فكرة وجود تنين صغير حقيقي بداخلها، لأنني شعرت بأن التمسك بهذه المعلومة بالذات أمرٌ مرهق للغاية. وفي كل مرة تبدأ صورة له تتكون في ذهني؛ أجنحة صغيرة مطوية، وحراشف مصغرة، كلٌّ منها مثالي ومتناسق؛ أحاول طردها. لكن من الصعب، بل من المستحيل تقريبًا، ألّا أستمر في تخيُّله. وأشعر بحاجة مُلحة إلى العثور على مكانٍ بعيد عن هنا، حيث يمكن أن يكون التنين آمنًا.

ولكن بعد ذلك سمعت وقع خطوات تقترب مني، فاختفت كل أفكاري. ركعت، والتففت حول نفسي ليصبح حجمي أصغر ما يمكن في مكان اختبائي، وشعرت بالقلق من أن يجدني فريق اكتشاف التنانين.

تتوالى الخطوات بإيقاع متناغم، وحاولت أن أستمع لأتمكن من ملاحظة أي شيءٍ قد يُخبرني بهوية هؤلاء الأشخاص، سواء كانوا أعضاء في الفرقة أم لا. بدا أن هناك شخصًا واحدًا فقط يركض، لذا فأنا متأكدة من أنه شخصٌ بمفرده، ربما شخص يمارس رياضة الركض.

ألقيت نظرةً خاطفة من فوق الشجيرة ورأيت ظلًّا يقترب مني. ألقيت نظرة خاطفة على سترة صفراء، من النوع الذي يرتديه العدَّاؤون، وتراجعت إلى خلف الشجيرة. ولكن فجأة ملأ صوتٌ أعرفه الحديقة.

– يارا؟

بدا صوته حادًّا وعاليًا. فقد لفظ اسمي كأنه إهانة. كان ذلك السيد لوتون.

لم أتحرك، بل بقيتُ منحنية. وعادت لذهني ذكرى أخرى عن جورج، وهي كيف كانت تلعب لعبة الغميضة عندما كانت صغيرة، وكيف كانت دائمًا ما تبرز ساقيها، وكان من السهل دائمًا العثور عليها. هل هذا هو شكلي في نظر السيد لوتون؟ هل يستطيع بسهولة أن يراني بينما اعتقدتُ أنا أنني مختبئة.

كرّر: «ديارا، أستطيع رؤيتكِ هناك. اخرجي حالًا».

خرجت ببطء، لكن لم أنظر في عينيه.

وضع كلتا يديه على وركيه، ويمكنني أن أرى انزعاجه المتصاعد كلما رآني، تمامًا كما هو الحال في الفصل الدراسي، بدا وجهه متجهمًا. قال: «هل لديكِ أدنى فكرة كم أن والديك قلقان عليك؟».

وعندها نظرت في عينيه.

لاحظ والداي غيابي بالفعل. اعتقدتُ أنني سأحظى بفترةٍ أطول قبل أن يدركا أنني غائبة. ومع زيارة جورج والعمل، تخيلت أن الأمر سيستغرق منهم بضع ساعاتٍ أخرى على الأقل قبل أن يدركا اختفائي.

سألت قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي: «هل تحدثت معهما؟».

قال وهو يهزُّ رأسه: «لا، لكن السيدة بينسون اتصلت بي عندما كنت في المنزل وسألتني إن كانت لديَّ أي فكرة عن الأماكن التي قد تذهبين إليها».

ورغم أنني حاولت ألا أتكلم معه وجدت نفسي أسأله: «وهل كنت تعلم أنني سأكون هنا؟».

- لا، كنت فقط أركض ومررتُ من هنا. ولكنني تعرفت عليكِ وأنت تختبئين خلف تلك الشجيرة على بُعد ميل. أعتقد أن لديَّ غريزةً طبيعية لمعرفة متى تريدين الاختباء. هيَّا، لنوصلكِ إلى المنزل.

رددتُ بسرعة: «لا يمكنني».

- بل يمكنكِ وستفعلين.

بدا الأمر كأننا عدنا للفصل الدراسي، إلى البداية، بلمحة بصر.

- لن أذهب معك ولا يمكنك إجباري.

تراجعت خطوة إلى الخلف واستعدَدتُ للركض.

لكن بعدها اختلفت نبرة حديثه فقال: «ما الذي يحصل يا يارا؟ لا يمكن أن يكون الأمر بهذا السوء، أليس كذلك؟».

لم أحاول أن أجيبه حتى لكنني تفاجأت أنه لا يعلم أي شيءٍ عني إن كان يظن أن ما أمرُّ به سهلًا.

قال وهو يرفع هاتفه المحمول: «سأتصل بالشرطة».

قلت بنبرةٍ يائسة: «انتظِر، فقط انتظِر».

نظر إليّ وبدا وجهه متجهمًا. وسألته: «لماذا تكرهني لهذه الدرجة؟».

ردَّ ساخرًا: «أكرهكِ؟ أنا لا أكرهكِ».

- بل تكرهني ودائمًا ما تنتهز الفرص لتوبخني.

- هل تظنين أنني لا أعرف ما تعانيه؟ أعلم أنكِ تمرين بوقتٍ عصيب، لكن وضْع حدود عندما يكون كل شيءٍ خارج سيطرتكِ يمكن أن يساعدك على تجاوز هذا.

- وهل تظن أنك تساعدني بجعل الوضع أصعب معي؟

- أنا لا أصعّب شيئًا عليكِ. أنا أعاملكِ مثل الجميع. لكن على عكسكِ، لم يكن الجميع يدفعون ما حولهم طوال الوقت. بل تعلموا الدرس.

- حسنًا لا أريد أن أكون مثلهم.

- إذًا لا تتفاجئي إن وقعتِ في المشكلات.

وبعدها رنَّ هاتفه المحمول وومض.

تمتم: *'عليَّ أن أرد على هذه المكالمة'*، قبل أن يضغط زرًّا ويتراجع قليلًا.

تغيرت نبرة صوته وبدا ألطف بكثير بمجرد أن بدأ الكلام: «لن أتأخر، أنا في طريقي. أجل. أحبكِ أيضًا».

استطعت التعرف على صوته وتذكرت عندما سمعته يتحدث أنا وبيرتي على الهاتف في غرفة الاحتجاز.

قال: «حسنًا يا حبيبتي، إلى اللقاء»، وأغلق الهاتف. ثم استدار نحوي، وحاول أن يتجهَّم، لكنني أستطيع أن أرى آثار المحادثة الهاتفية عليه: «يجب أن أذهب، هيَّا. سأوصلكِ سيرًا على الأقدام».

كررتُ: «لن أذهب».

قال بغضب: «ديارا»، وبدا أن صبره قد نفد وتخيلت الدخان يتصاعد منه كأن حرارته بدأت ترتفع مثل بيضة التنين.

سألته: «مع مَن كنت تتكلم على الهاتف؟».

فبدا كأن سحابة من الغم قد استحوذت عليه للحظة.

ردَّ ساخرًا: «شخصٌ ليس عليكِ أن تقلقي بشأنه».

- ذلك شخص تهتم به، أليس كذلك؟ يبدو الأمر كأنه شخص يمر بوقت عصيب الآن، أليس كذلك؟ لا يبدو أنك تعتقد أن إرغامه على الانضباط هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله.

قال بفمٍ مزرور: «لا تتكلمي عن أشياء لا تفهميها حسنًا، إذا لم تأتِ معي، فسأتصل بالشرطة».

قلت بيأس: «من فضلك لا تفعل ذلك».

وبحثت عن سببٍ ليسمعني فأدركت أن لديَّ ورقةً واحدةً باقية لألعبها.

- لديَّ بيضة تنين وأظن أنني الوَصِيَّة عليها.

همهم: «ماذا؟».

فأخذت بسرعة حقيبتي وفتحتها وحملت البيضة: «انظر، إنها حقيقيّة. أنا أخبرك بذلك لأنه إذا اتصلت بشخصٍ ما أو طلبت مني العودة للمنزل، فسأفقد البيضة على أيّ حال. ولكن إذا أخبرتك الحقيقة، فربما، ستفهم سبب وجوب رعايتي لها».

سألني: «هل هي حقيقيّة؟».

- احملها، ليس لديّ سببٌ للكذب بشأن ذلك. لهذا السبب يأتي فريق اكتشاف التنانين ورائي. لكنني تمكنت من إخفاء الأمر عنهم حتى الآن.

استطعت أن أرى وجهه مضاءً بالوهج المنبعث من البيضة. وقال: «لا يمكن أن تكون حقيقيّة»، لكنه مدّ يده إليها على أي حال. لم يأخذها مني، بل وضع يده عليها بعناية: «إذن فقد وضعت بيضة أخيرة قبل أن تموت. و... أعطتكِ إياها؟».

زفرتُ وقلتُ «أجل». أتذكر اليوم الذي كان سيصرخ في وجهي فيه، وصرفتُ بيرتي انتباهه بقولها إنها رأت تيلدي بالخارج. كنت أتمنى حينها أن يكون مولعًا بالتنانين، لكنني الآن أتمنى ذلك جدًّا. يجب أن يكون مهووسًا بالقدر الكافي لرعاية البيضة، لكن ليس لدرجة أن يأخذها مني.

تمتم: «إنها حقيقيّة».

- أظن أن هناك تنينًا بالداخل.

أخبرته بذلك، وأنا مدركة مدى روعة أن أتمكن من مشاركة هذا الخبر مع شخصٍ آخر.

- لكن كل البيض الذي وُجد كان فارغًا.

- شعرت بحركتها. أيًّا ما كان بداخلها فهو قوي.

- لا يمكن أن يحصل ذلك.

ومدَّ يديه مجددًا وضغط على القشرة.

- أعلم أن الأمر يبدو غريبًا. لكنني لم أتخيله. تعتقد بيرتي أن البيضة يجب أن تبقى مع الوَصِي عليها، وأن التنين اختارني لهذه المهمة وإذا انفصلنا، فإن ذلك يمنع البيض من الفقس.

ضحك السيد لوتون قليلًا وقال: «إنها نظرية مثيرة للاهتمام ولكن لا يوجد ما يُثبت صحتها».

تجاهلته وواصلت الحديث: «قرأت أن البيض يمكن أن يكون له خصائص علاجية وأريد أن أحاول إيصالها إلى أختي قبل فوات الأوان».

رفع بصره عن البيضة وحدَّق إلى عينَيَّ للحظة: «مرة أخرى، لا يوجد شيء يمكن قوله أكثر من الخرافات والأساطير».

- أعرف ذلك. لكن عليّ أن أحاول، أليس كذلك؟ تريد الفرقة الاحتفاظ بالبيضة لنفسها. لن أراها مرة أخرى بمجرد أن يضعوا أيديهم عليها. هذه هي فرصتي الوحيدة.

مرر السيد لوتون يده على رأسه الأصلع. بدا مختلفًا تمامًا عما يبدو عليه في المدرسة، وفجأة...قال: «ولكن كيف ستعتني بها؟ إذا كان هناك من يتتبعكِ، وإذا كان هناك مَن يراقبكِ؟».

- لهذا السبب هربت، ولهذا السبب أنا هنا. لا أستطيع العودة للمدرسة؛ ولا أستطيع العودة للمنزل حتى يفقس هذا الشيء. لكن عليّ أن أحاول نقلها إلى جورج في المستشفى قبل ذلك.

- ما تقترحينه ضربٌ من ضروب الجنون.

- حسنًا أحتاج إلى مساعدة، أحتاج إلى أي مساعدة قد أحصل عليها.

- لا أستطيع مساعدتكِ على الهرب. الشيء الوحيد المسؤول الذي يمكنني فعله هو أن آخذكِ إلى الشرطة. إذا صدقتكِ، فربما يصدقونكِ أيضًا.

هززت رأسي وقلت: «ستداهم الفرقة المكان، وسيمسكون بي مباشرةً. رأيت مدى قوتهم وقدرتهم على الإقناع».

- حسنًا أعتذر عن ذلك. ما كان ينبغي أن أتركهم يأخذونكِ. أنا... أنا... لا يوجد ما أقوله سوى آسف.

مرة أخرى، شعرت بأنه أكثر من مجرد معلم أصلع غاضب يكرهني وأكرهه أنا أيضًا. ولأول مرة، لاحظت كيف تُذكرني عيناه بعينَي أبي إلى حدٍّ ما، فبينما نتحدث، كانت عيناه تحملان اللطف واللين نفسيهما.

قلت: «لا عليك. كانوا سيأخذونني بطريقةٍ ما على أي حال».

بدا السيد لوتون أنه على وشك أن يقول شيئًا ما عندما رنَّ هاتفه مرة أخرى.

قال قبل أن يغير نبرة صوته ويصبح ألطف مجددًا: «آسف عليَّ أن أرد على هذه المكالمة».

سمعته يقول للطرف الآخر: «أجل بالطبع يمكنني أن أحضر منها في طريقي إلى المنزل».

وهذه المرة استطعتُ أن أسمع صوت المتكلم يرتفع وينخفض. من المؤكد أنه يتحدث إلى امرأة. سألته عندما أغلق: «هل هذه زوجتك؟».

قال مبتسمًا: «أجل وهي حامل. سنُرزق بمولود».

وارتسمت على وجهه ملامح مضحكة لاحظتها عندما حاول منع نفسه من الابتسام لكنه لم يستطع وابتسم ملء شدقيه.

قلت حينها: «تهانينا».

- أجل نحن سعيدان للغاية، فقد مضى...

لكنه مجددًا أوقف نفسه عن الكلام. فسألت بلطف: «ماذا؟».

للحظة، لم أكن متأكدة من أن السيد لوتون سيقول أيَّ شيءٍ آخر، ولكن بعد ذلك تدفقت الكلمات منه على عجل: «استغرق الأمر وقتًا طويلًا. كان علينا الخضوع لعلاجات الخصوبة وكان صعبًا للغاية،

صعبًا حقًّا، عندما لم ينجح الأمر في البداية. لكن هذه المرة نجح النقل والآن نحن في الأسبوع السابع، لذا فالأمر في بدايته، لكن أجرينا فحصًا بالأشعة السينية ورأيناه. رأينا قلبه ينبض...».

توقف للحظة ثم صمت، كأنه يدرك مقدار ما شاركه للتو. وضع السيد لوتون يده على رأسه، وقال بصوتٍ عالٍ: «ما كان يجب أن أقول كل هذا».

- لا بأس، لن أخبر أحدًا.

لم أستطع أن أفهم كل ما كان يقوله وما تعنيه كل المصطلحات التي استخدمها، ولكنني أعتقد أنني أفهمه الآن بشكلٍ أفضل. إن المحادثة التي سمعتها أنا وبيرتي عندما كنا مختبئتين في الخزانة تنسجم مع ما قاله، ورغم أنني لا أغفر له مدى قسوته معي، فإنني أدرك أنه كان يمر بوقتٍ عصيب.

- يبدو الأمر كأنه كان صعبًا حقًّا.

وعندها نظر إليَّ السيد لوتون وتقابلت عيناي بعينيه؛ بدا أنه يعاني شيئًا ما: «ربما كنت صارمًا جدًّا معكِ في المدرسة، لا أعتقد أنني كنت على طبيعتي تمامًا في الأشهر القليلة الماضية، حقًّا».

أومأت برأسي ثم سألته مرةً أخرى: «لا بدَّ أن هناك طريقةً ما يمكنك مساعدتي بها. حتى لو كانت مجرد أموال. أو مكان للإقامة. مكانٌ يمكنني الاختباء فيه».

استطعت أن أراه يفكر ثم أضاء وجهه للحظة قبل أن يظلم مرة أخرى. سألت: «وما الأمر؟».

- لا، حسنًا، الأمر فقط أنني أملك مكانًا يمكنكِ الإقامة فيه، لكن لا يمكنني التدخل في هذا الأمر. هل يمكنك أن تتخيلي المتاعب التي سأواجهها عندما يتبين أنني ساعدتكِ على الاختباء؟
- لن أخبر أحدًا، وهذا ليس من أجلي فقط. إنه من أجل التنين، تذكر، قد يكون هذا هو التنين الأخير على الأرض
- ظننت أن التنين الأخير كان تيلدي.
- حسنًا أنت تعرف أين هو الآن آخر تنين على الأرض.
- تملك زوجتي شقة تؤجّرها عادةً لكنها خالية في الوقت الحالي. يمكنكِ البقاء هناك.
- أجل من فضلك. إن أمسكوا بي يمكنني الادعاء أنني سرقت منك المفاتيح في المدرسة.
- في الواقع، سلسلة المفاتيح التي أحتفظ بها عليها عنوانٌ مكتوبٌ، لذلك إذا سرقتها سوف تعرفين مفاتيح أي منزلٍ هي.
- أها، عندها لن يلومك أحد.

ولكن، قال السيد لوتون: «إذا فعلنا هذا فلن تتمكني من الذهاب إلى المستشفى لرؤية أختكِ. إنه أمرٌ محفوف بالأخطار. سيتعين عليكِ البقاء في الشقة وعدم المغادرة حتى يفقس التنين. إنها فرصتكِ الوحيدة».

- حسنًا إذًا، هل ستساعدني؟

- سأساعدكِ، ولكن بشرطٍ واحد. أن تبقي في الشقة وتبقي آمنة حتى تفقس البيضة.

وضع يده الأخرى على قشرة البيضة، وظهرت على وجهه نظرة لم أستطع قراءتها تمامًا. نظرة تركيز ممزوجة بالعزيمة.

قلت وأنا أشبك إصبعين خلف ظهري: «سأفعل ذلك».

17

تبعتُ السيد لوتون إلى إحدى زوايا الحديقة ثم انتظرت عودته. كان المكان هادئًا باستثناء بعض راكبي الدراجات والعدَّائين. رأيت مجموعة الجري النسائية من المبنى الذي أعيش فيه تمرُّ بجانبي، وتحركن في تناغم في هرولة لطيفة.

عندما عاد السيد لوتون بعد ذلك بقليل، أسقط كيسًا بجانب سلة المهملات ثم اختفى مرةً أخرى، رغم أنني قبل أن يغادر، لاحظت أنه أومأ برأسه قليلًا في اتجاهي.

اندفعت للأمام والتقطتُ الحقيبة ثم تتبعت الظلال وركضت عبر الشوارع للعثور على الشقة.

عندما وصلت إلى الشقة وأصبحت بداخلها، وأقفلت الباب شعرت أن القلق الذي كنت أعيشه منذ أن غادرت المدرسة ذلك اليوم بدأ يتلاشى.

كانت الشقة صغيرة ومُرتبة ولا تبدو أنها خالية، بل بدت كأن شخصًا ما قد خرج منها حديثًا. كان السرير مرتبًا، ورأيت مفكرةً مكتوبٌ على صفحتها قائمة وخطوط على كل عنصر. وجدت معجونَ أسنان وشامبو في الحمام، وبعض العلب، وعلبة زبدة فول سوداني، وحزمة معكرونة نصف مفتوحة في المطبخ. وعندما بحثت أخيرًا في الحقيبة التي أعطاني إياها السيد لوتون، وجدتُ خبزًا وموزًا وحتى قطعة من الشوكولاتة الداكنة. وفي الأسفل وجدت مظروفًا كُتب عليه «للوجبات الجاهزة» بداخله ستون جنيهًا إسترلينيًّا.

أعددت لنفسي وجبةَ عشاء تتكون من شطيرة زبدة الفول السوداني مع قطع من الشوكولاتة الداكنة في المنتصف. أعلم أنني تناولت ما يكفي من الطعام، لكن الشعور بالارتياح لوجودي في مكانٍ آمن جعلني أرغب في الاستمرار في الأكل، فأكلت موزتَين أيضًا.

احتفظت بالبيضة في حقيبتي في حال اضطراري للمغادرة على عجل، ولكنني فتحتها قليلًا لأتمكن من رؤية الجزء العلوي منها.

سألت: «ما رأيكِ؟ يبدو هذا كمنزلنا الجديد».

أردتها أن تتحرك مجددًا لكنها بقيت ساكنة.

- غدًا سنفكر بطريقةٍ لإيصالكِ لجورج.

قلت ذلك وأنا أغطي نفسي باللحاف المعطر بالزهور، قبل أن أنتبه أنني غفوت.

في صباح اليوم التالي، جرَّبت تشغيل التلفاز، وعلى الفور علا صوتُه في غرفة الجلوس الصغيرة، وامتلأت الشقة بأصوات نشرات الأخبار الصباحية، وسمعت اسمي بين عناوين الأخبار.

عُرضت صورةٌ لي قُصَّت إلى نصفين لأنه كان من المفترض أن تظهر جورج بجواري مباشرةً، ولكن بدلًا من ذلك ظهر وجهي فقط.

تبحث الشرطة عن يارا تشيونج البالغة من العمر 12 عامًا، التي اختفت منذ أمس. سيظهر والداها وشقيقتها في وقتٍ لاحق اليوم، لكنهم أصدروا البيان التالي: «من فضلكِ عودي للمنزل يا يارا، ستتحسن الأمور كثيرًا إذا عدت للمنزل».

فأغلقت التلفاز بعدها.

بعد ثلاثة أيام، تناولت البيتزا الجاهزة لثلاث وجباتٍ متتالية واستعدَدتُ لمغادرة الشقة.

قرأت كتابًا كاملًا للبيضة، قرأت قصة رجل زرع عددًا من الأشجار إلى أن زرع غابةً كاملة، وقد استنفدتُ تقريبًا كل الأموال والطعام الذي أعطاني إياه السيد لوتون وكل ما استطعت العثور عليه في الشقة.

لم أفتح التلفاز مرة أخرى منذ أن رأيت تقريرَ الأخبار، لأنني لا أستطيع تحمُّل رؤية والديَّ يطلبان مني العودة للمنزل، وعلى الرغم من أنني كنت أرغب بشدة في محاولة الاتصال بهما وبجورج، فإنني لم أتمكن بعد من إيجاد طريقةٍ آمنة للتواصل معهما.

لم تتحرك البيضة أو تسخن مرة أخرى، رغم أنني تحدثت إليها وطلبت منها أن تعطيني أيَّ إشارة عما يجب أن أفعله، أو إلى أين أذهب.

في الليلة الرابعة التي أمضيتُها وحدي، لم يكن معي أحد أتحدث إليه سوى البيضة، أدركت أنني لم أعد أستطيع البقاء هناك لفترةٍ أطول. ربما كنت في مأمن، لكن الأهم من ذلك أن أسلّمَ البيضة إلى جورج، أو على الأقل أن يُقبض عليّ وأنا أحاول. ولأنني لم أعد أتحرك، فأنا على يقينٍ من أن البيضة لم تعد تحمل تنينًا، وحتى لو كانت كذلك، فإن نظرية الوَصي، كما قال السيد لوتون، مشكوكٌ فيها. هناك عدد قليل فقط من الأشياء التي يمكنني الاعتماد عليها كحقيقة. وكل ما أعرفه هو أنه يجب أن أصل إلى أختي.

وضبتُ أمتعتي، وتركت الشقة بأفضل ما أستطيع، تركتها مثل ما وجدتها، ثم توجهّتُ إلى المستشفى. اتخذتُ قراري. سأستبدل البيضة مقابل توفير الرعاية لجورج. من الأفضل الاعتماد على الرعاية التي أثبتت نجاحها بدلًا من بيضة التنين التي لا يوجد أيُّ دليل على نجاحها، باستثناء الخرافة.

وبعد أن اتخذت ذلك القرار شعرت بالارتياح. ليس عليّ أن أخبئ أي شيء.

شققت طريقي عبر مركز التسوق؛ وأنا على يقينٍ من أن الفرقة ستمسكني في أيّ لحظة. إنها أكثر الأماكن العامة التي يمكنني التفكير فيها لأنني لا أعرف مكانَ مكتب الفرقة الغامض، أو المكان الذي أُخذت إليه سابقًا، وقد تركت البطاقة التي أعطاني إياها الرجل العملاق في المنزل.

وأنا أمشي بين الحشود، لاحظت شخصيةً مألوفةً تمشي عبر المقاعد. كانت تلك بيرتي.

ركضت نحوها، لكن سرعان ما فقدتها بين حشود الناس.

ثم سمعت صوتًا آخر عرفته، كان صوت أحد أعضاء فرقة إم بويز وهو يهتف: «انظروا، غريبة الأطوار هناك».

التففت ورأيت أنني تأخرت كثيرًا، لأن المسافة ازدادت، كانت بيرتي محاصرة. ركضت نحوها، وعندما وصلت إلى هناك دفعني أحدهم إلى الأرض.

للحظة، تخيلت أنهم سيتجمعون حول بيرتي، ولن أراها. وستختفي بين المجموعة. ولكن بعد ذلك رأيت المجموعة تتراجع. وبيرتي تقف على قدميها.

قالت: «سيتعيَّنُ عليك القيام بأكثر من ذلك، هل هذا حقًّا ما تحتاج إليه لمساعدتك على الشعور بشيءٍ ما؟».

صاح أحد الصبية: «لا يهم».

- نعم، مهما يكن. لكن ألَا تعتقد أنه ذلك أمرٌ مثير للاهتمام؟ أن تشعر أنك مضطر للقيام بهذا، وأن تبحثَ وتختارَ شخصًا مختلفًا عنك لمضايقته. ما الذي تخاف منه إلى هذا الحد؟ لأنني لست خائفةً منك. رغم أنك تقول أشياءَ مروعة وتريد إيذائي، فإنني لست خائفة منك. بل أنت مَن تخاف مني. لكن ليس عليك أن تكون كذلك، يمكنك الاختيار.

استطعت أن أرى كلمات بيرتي تُحاصرهم، وتربطهم، وتسحبهم إلى الأسفل. فتراجعوا قائلين: «أيًّا يكن»، وغادروا.

أسرعت نحو بيرتي وقلت: «كنتِ مذهلة، أعني أنني آسفة، إنه أمرٌ غريب أن أقول ذلك، ولكن الطريقة التي وقفتِ بها في وجههم كانت رائعة...».

قاطعتني بيرتي: «ديارا! ظننت أنه ينبغي لكِ أن تكوني مختبئة. أبليتِ بلاءً حسنًا. لم يعرف أحد أين كنتِ...».

- سأترك البيضة للفرقة، قررت أنني لا أستطيع إيصال البيضة إلى جورج وهذا ما يهمني. لذا يجب أن أحصل لها على المساعدة التي تستحقها.
- هل أنتِ متأكدة؟ ألا توجد طريقة أخرى؟ ماذا عن كونكِ الوصية عليها؟
- أعرف ما تفكرين فيه بشأن هذا الأمر، لكن لا يمكنني حرمان أختي من هذه الفرصة بسبب شيءٍ لسنا متأكدين منه.

استطعتِ أن أشعر بانزعاج بيرتي عندما قالت: «أحقًّا؟».

- لكن الشيء المضحك هو أنني كنت مختبئة طوال هذا الوقت، والآن بعد أن خرجت، اعتقدت أنهم سيقبضون عليّ على الفور، لكنهم لم يفعلوا. ربما ليسوا جيدين كما كنا نظن. ربما يمكنني أن آخذها إلى جورج ببساطة؟

اقترحت بيرتي: «لنذهب إلى هناك».

ثم نظرت إليّ بابتسامة وقالت: «إذًا أنا مذهلة أليس كذلك؟».

- أجل هل رأيتِ وجوههم؟ لم يعرفوا ماذا عليهم أن يقولوا.

- آمل أن يفكروا فيما قلته. آمل أن يفهموا كلماتي. لا أريد القتال، أريد فقط أن أكون أنا، كيفما أكون.

لم أعرف ما عليّ قوله لكن أمسكتُ يديها وهي أمسكت بيدَيّ وسألتني: «هل أنتِ متأكدة من ذلك؟».

- أجل أنا متأكدة. عليّ فعل ذلك.

- حسنًا هذا قرارك.

التزمنا الصمت ونحن في طريقنا إلى المستشفى، كأننا نعلم أن هذه هي المرة الأخيرة التي سنحتفظ بها بالبيضة.

رأيت كشك هاتف وقلت إنّني سأعود في الحال. والآن وعندما اقتربت من رؤيتها شعرت كم أنني متلهفة للتحدث إلى جورج. لقد كانت هذه أطول فترة لم نتحدث فيها طوال حياتنا.

أمسكت بالورقة التي كتبت عليها رقم جورج وحبست أنفاسي بينما رنّ الهاتف.

ردت جورج: «مرحبًا».

- هذا أنا.

قالت بنبرةٍ مرتاحة وسعيدة: «ديارا؟ هل أنتِ بخير؟».

- أنا بخير، أردت فقط إعادة البيضة إليكِ، لذا اختبأت قليلًا للحفاظ عليها في مأمن، ولكن بعد ذلك أدركت أنهم سيقبضون عليّ إذا حاولت مرة أخرى، لذا سأستبدلها. كل شيءٍ سيكون على ما يرام. ستتحسن حالتكِ. ستحصلين على رعايةٍ أفضل بكثير إذا فعلت هذا.

- يارا! توقفي. لا تفعلي ذلك. لستِ مضطرة إلى فعل ذلك.

- بل عليّ فعل ذلك.

- لا، أعني أنني أتحسن. يعتقدون أنني قد أتمكن من الخروج من المستشفى بحلول الأسبوع المقبل. في أثناء غيابكِ، تحسنت حالتي كثيرًا.

- ماذا عن العلاج؟

قالت جورج بتذمر: «دأخبرتكِ، لقد نفع العلاج. لو جئتِ لرؤيتي بدلًا من الهرب، فستعرفين كيف كنت».

- أنا آسفة.

- لا بأس، أتفهم ذلك. لكن تمسكي بهذه البيضة. هل سمعتي عن نظرية الوصي؟

نظرت إلى بيرتي فرأيتها تبتسم وقلت: «دأجل سمعتُ بها».

- حسنًا، إذًا، أريد أن أسمع كلّ شيء عنها، لكن من الأفضل أن تعتني بها وتخفيها. هل تعتقدي أنها ستفقس؟ هل تعتقدي أن هناك أيّ شيءٍ بداخلها؟

- لا أعرف لكن...

- لكن ماذا؟

- تحركت قليلًا، أظن أن هناك شيئًا ما بداخلها.

سمعت جورج تشهق وتقول: «عليكِ أن تُبقيها آمنة».

- أجل، أجل.

- قد تكون تلك الأخيرة. أعني الأخيرة حقًّا.

- تعنين آخر بيضة.

- حسنًا آمل ألا تكون الأخيرة إن اعتنيتِ بها. تريدين فعل ذلك أليس كذلك؟

فكرت في كلماتها وشعرت أنه منذ اللحظة الأولى التي رأيتها فيها، شعرت بالرغبة في الاعتناء بها والاحتفاظ بها والوجود معها. لا أريد أن أتركها؛ لا أريد أن أتخلى عنها. فقلت: «أجل، أريد ذلك».

- عليك فعل ذلك لخاطر تيلدي، ولخاطري، ولخاطر كل شخصٍ في هذا العالم يا يارا.

قلت مبتسمة وأنا أتمنى أن أرى وجه جورج مملوءًا بالإثارة والعزيمة: «نعم، أعتقدُ أنكِ على حق».

- هل أنتِ بخير؟ هل كل شيءٍ على ما يرام؟

- أجل، أنا بخير وكل شيءٍ على ما يرام.

- لست مضطرة أن تكوني بخير طوال الوقت، أعلم أنكِ تشعرين دائمًا بالضغط للقيام بالشيء الصحيح والتصرف بالطريقة التي تعتقدين أنها الصحيحة، ولكن عليكِ أن تُخرجي ما تشعرين به. لستِ مضطرة لأن تكوني الشخص الصالح. يمكنكِ أن تكون نفسك. خاصةً الآن، مع كل ما يحدث، عليكِ أن تُخرجي ما بداخلك. فقط كوني على سجيتك.

حاولت أن أجيب لكن كلمات جورج أسكتتني. إنها محقة. شعرت بدموعي تنهمر، لأن شعوري بأنني مفهومة، والقدرة على قول الحقيقة التي ستُسمع، غمرتني للحظة.

قلتُ ودموعي على خديَّ: «أستطيع أن أكون على سجيتي».

لمحت بطرف عينَيَّ بعض الأشخاص يركضون من بين الحشود، ويتجهون مباشرةً نحوي.

رأتهم بيرتي أيضًا. فقلت: «لقد أتوا يا جورج. عليَّ الذهاب. لقد وجدوني...».

أسقطت السماعة ولكن ليس قبل أن أسمع كلماتها الأخيرة لي: «لا تستسلمي يا يارا، الآن هو الوقت المناسب للغضب».

صرخت لبيرتي: «داركضي».

ركضتُ بسرعةٍ كبيرة حتى إنني شعرت بنفسي أنزلق على الأرضية الرخامية لمركز التسوق، وبينما كنت أركضِ أنا وبيرتي نحو المخرج،

رأيت المجموعة من المدرسة التي حاولت إزعاجها، ورغم أنني حاولت ألّا أمرّ بجانبهم، فإنني اضطررت.

صرخ أحد صبية إم بويز: «أنتِ!»، وعندما رأى بيرتي صاح: «ليس أنتِ».

استطعت سماع وقع خطواتهم وراءنا أيضًا.

صرخت لبيرتي مجددًا: «اركضي».

فردّت عليّ ونحن نركض: «ما الذي تظنين أنني أفعله؟».

- من هذا الطريق.

قفزنا خلف عمود ثم نحو موقف السيارات متعدد الطوابق. دفعنا الأبواب المتأرجحة وركضنا صعودًا وهبوطًا على الدرج حتى وصلنا إلى أعلى ما نستطيع. لم ننظر خلفنا لنرى ما إذا كان أحد يتبعنا بعد الآن، بل الأهم أن ننظر إلى الأمام ونركض.

عندما وصلنا إلى الأعلى، وأصبحنا في الهواء الطلق، حيث لا يوجد سوى عددٍ قليل من السيارات، مباشرةً في الجزء العلوي من موقف السيارات، سألت بيرتي لاهثة: «ماذا عن تسليم البيضة لهم؟».

- أريد أن أحتفظ بها، أريد ذلك حقًّا.

لكن بينما كنت أتكلم شعرتُ بحرارة تتصاعد من حقيبة الظهر.

18

قلت لنفسي: *ليس الآن، ليس الآن.*

يجب أن أبقي البيضة مخفية، ولكن إذا استمرت درجة حرارتها في الارتفاع، فسأضطر إلى خلع الحقيبة.

حاولت أن أتجاهل الحرارة المتصاعدة من حقيبتي، وبحثت عيناي في كل اتجاهٍ في موقف السيارات، بحثًا عن مخرج.

لكن لا يمكننا الذهاب إلى أعلى من ذلك ويمكنني بالفعل رؤية الفريق يتجهون نحونا.

نظرت بيرتي من فوق حافة الحاجز. استطعت أن أرى الرياح تُداعب شعرها قليلًا وعندما نظرت إليّ هزت رأسها قليلًا. كان مرتفعًا للغاية، لا يمكننا القفز، ولا يمكننا النزول.

سمعت خطوات مدوية خلفنا ثم سمعت صوتًا عميقًا يقول: «استسلمي يا يارا!».

ألتفت لأراه، الرجل المجهول الذي استجوبني وهدَّدني وسرق عائلتي. لن أسمح له بأخذ البيضة أيضًا.

حولتُ بصري نحو بيرتي وابتسمتُ لها ابتسامة صغيرة ثم شعرت بنفسي أتنفس بعمق. كأنني على وشك الغوص تحت الماء.

ثم، ببطء، وبشكلٍ مُتعمَّد، أخرجت غضبي.

استطعت أن أشعر به بوضوحٍ شديد في داخلي، كما لو كانت النيران بداخلي تشتعل وتمتد وتصبح أكثر شراسةً. وتقدمت خطوة باتجاه الرجل.

بعد أن حاصرتنا الفرقة رأيت أن معظمهم يرتدون زيًّا أسودَ، لكن بعضهم كان يرتدي ملابس عادية. أعتقد أن أولئك كانوا أشخاصًا زُرعوا هناك لملاحقتي. كانوا جميعهم يلهثون من مطاردتنا.

قال الرجل: «سلّمي البيضة»، ورأيت ابتسامةً ترتسم على وجهه. ثم خطا خطوة نحوي، ومد يده، ونظر لأصابع يديَّ التي كانت ملفوفة بإحكام حول حزام حقيبتي.

قلت بصوتٍ عالٍ لم أتخيل أنني سأستخدمه بحياتي: «لا تلمسني، لا تلمسني».

كرر: «البيضة!».

- ابتعد عني.

مع كل كلمةٍ قلتها كانت تزداد قوتي أكثر.

قال: «أعطني البيضة»، ولكني استطعت أن أرى في عينيه أن شيئًا ما قد تغير. إنه يعرف، بالقدر نفسه من اليقين أنني أملك البيضة وأنني لست مضطرة إلى إعطائه إياها، وأنه لا يستطيع إجباري على فعل ذلك.

فقلت بصوتٍ أعلى من قبل: «ابتعد عني».

ونظرت إلى باقي أعضاء الفرقة.

رأيت خلف الرجل امرأة شابة، ذات غرة قصيرة. استطعت أن أرى خاتمًا في إصبعها فقلت: «طلبت من هذا الرجل أن يبتعد عني لكنه لم يفعل. أنا في الثانية عشرة من عمري، وأطلب منكم أن تتركوني وشأني».

كأنني أُلوِّح بشعلة، ابتعد الجميع عني قليلًا بينما أتحدث.

تلعثم الرجل قائلًا: «سنأخذكِ للاستجواب».

- أنت بحاجة إلى موافقة والديَّ، لكنك لا تملكها، ولا تملك موافقتي. دعني وشأني الآن. أنت تهددني وأنا أطلب منك الابتعاد عني.

ابتعدت الشابة، وفجأة رأيتهم جميعًا يفعلون الشيء نفسه. تراجعوا إلى الخلف حتى بقي الرجل، واقفًا بمفرده. فقال: «أعلم أن البيضة معكِ، ولا تملكين أدنى فكرة عما تفعلينه».

صرخت بغضب: «توقف، لا تقل لي ما يجب فعله، بل فكّر بما تفعله أنت. أنت تهددني ولن أدعك تُفلت من هذا الأمر».

تراجع الرجل وتمتم قائلًا: «سنعود ونحضر حارسًا».

نظرت في عينيه، لكنه أشاح بنظره. ابتعدت أفراد الفرقة، وتوجهوا عائدين للأبواب. وبدوا أنهم يحيطون بالرجل ويحملونه معهم وهم يغادرون. لكنه ظل يستدير ليقول شيئًا، وفي كل مرة يحاول فيها النظر إليّ أو التحدث، تُسكته نظراتي الحارقة.

وأخيرًا بقيت أنا وبيرتي بمفردنا.

هتفت بيرتي: «أنتِ... أنتِ... يا لروعتكِ!».

ولكنني لم أستطع الرد. فحرارة البيضة أحرقت ظهري، وحاولت فك أحزمة حقيبتي بأسرع ما أستطيع.

سمعت بيرتي تقول: «ما الأمر؟»، ثم ابتعدت عن الحقيبة.

ثم اندلعت النيران ورأيت ألسنة لهب لم أَرَها في حياتي. كانت حرارتها عالية وقوية للغاية. وسمعت أجيجها وهي تلتهب.

احترقت الحقيبة وتحوَّلت إلى رماد، وفي وسط اللهب كانت البيضة، تدحرجت قليلًا من جانبٍ إلى آخر.

ثم سمعنا صوت طقطقة وكُسرت القشرة.

19

بعد أربعة أشهر

مشينا إلى دائرة الأشجار، وأتينا بشكلٍ منفصل من اتجاهات مختلفة.

عندما التقينا أخيرًا، كانت هذه هي المرة الأولى التي نلتقيها جميعًا في المكان والوقت نفسيهما. أنا وجورج وبيرتي وبيتي والسيد لوتون.

تحسنت حالة جورج بشكلٍ كبير منذ خروجها من المستشفى، وقد أبهرت الجميع في أثناء جلسات إعادة التأهيل التي خضعت لها. كان من المذهل أن نرى كيف تحسَّنت حالتها. كان والداي ممتنين للغاية للطبيبة التي جرَّبت العلاج المختلف، وحتى هي كانت مندهشة من الطريقة التي استجابت بها جورج للعلاج.

اعتادت جورج أن تقول: «دأنا من عجائب الطب الحديث»، وأومأت برأسي لها رغم أنني لا أستطيع إلا أن أفكر في التغيير الذي طرأ عليها وبدأ في ذلك المساء عندما لمست أصابعها بيضة التنين.

بعد أن صرخت على الرجل في ساحة انتظار السيارات وانكسرت البيضة، هرع أفراد الفرقة جميعًا إلى الخلف عندما التقطوا إشارة حرارة اللهب الذي أحدثته البيضة. ووجدوني أنا بيرتي مع حقيبةٍ محترقة وقشرة فارغة.

لكن لم يكن بداخلها شيء. انتهى الأمر بكونها بيضة فارغة مثلها كمثل البيض الذي سبقها. لم يكن بداخلها شيءٌ على الإطلاق.

أخذت الفرقة قطع القشرة المكسورة على الفور، ولكن في الوقت المناسب ستُسلَّم لمتحف التنين في اسكتلندا لتوضع بجوار أجزاء قشرة البيض الأخرى. قالت أمي وأبي إنه يمكننا الذهاب وزيارة المتحف، ما دمنا لن نهرب هذه المرة.

وبكل الطرق الأخرى، عادت الحياة لطبيعتها. ورغم أن السيد لوتون لم يعد يوبخني كثيرًا هذه الأيام؛ فإنه يقول إن السبب هو أنني لا أعطيه أيَّ مبرر لذلك. كما توقف الأولاد عن مضايقة بيرتي منذ المشاجرة التي وقعت بينهم في مركز التسوق. وقد التقيتُ زيزي وآدي وليزا، صديقاتي من المدرسة الابتدائية، مرةً أخرى. إذ فاجأتني

جورج بتنظيم لقاء بيننا، والآن عدنا للتواصل، كأننا لم ننقطع قطُّ. أنا وزيزي نراسل بعضنا بعضًا كل أسبوع، وقد رتبنا للقاءٍ آخر في نصف الفصل الدراسي القادم. وسوف تأتي بيرتي لمقابلتهم أيضًا.

ينمو جنين السيد لوتون وزوجته بشكلٍ جيد وسيولد قبل نهاية العام الدراسي. يقول السيد لوتون إنه أضاف اسم يارا إلى قائمة الأسماء المميزة الخاصة بهما لأنهما ينتظران فتاة. كما أن اسم تيلدا موجود في القائمة أيضًا. أخبرته أن اسمي يعني «فراشة»، لأنني أعلم أنه يحب الأشياء التي يمكنها الطيران.

بعد خروجي من مخبئي اجتمعنا أنا وأمي وأبي في لقاءٍ عاطفيٍّ حار، حيث عانقنا بعضنا لفترة طويلة بدت إلى الأبد. وعندما أطلقا سراحي أخيرًا، دفعتْ أمي وأبي وجهيهما المملوءَين بالدموع نحو وجهي حتى تلامست جِباهُنا.

همست أمي: «نحن سعيدان لرؤيتكِ».

كرر أبي: «سعيدان جدًّا، افتقدناكِ كثيرًا».

- أنا آسفة جدًّا، لم أُرِد إخافتكما، لكن كان ذلك شيئًا عليّ القيام به.

مدت أمي يدها إلى أن وصلت إلى يدي ومسكتها بإحكام: «نعتذر أظن أننا لم نفهمك. أعتقد أننا ضغطنا عليكِ كثيرًا. ونريدكِ فقط أن تكوني كما أنتِ، مهما كانت مشاعركِ ولكن معنا بالطبع، وبجوارنا. نحن نحبكِ كثيرًا، يا يارا».

وبعد ذلك عانقنا بعضنا بعضًا لفترة أطول.

والآن وقفنا هنا، نحن الخمسة، وسط دائرة الأشجار، في صمتٍ تام لأنني تعلمت بعض الأشياء على مدار الأشهر القليلة الماضية. من الجيد أن تغضب أحيانًا، خاصةً عندما تحمي شيئًا ما، أو نفسك. وشيءٌ آخر؛ إذا كان هناك أي صوت آخر، أي أصوات أخرى، فلن تأتي.

ولكن عندما أنادي من أعلى الأشجار: «تعالَ، تعالَ، أنا هنا»، فسيخرج تنين صغير من بين الأغصان. وسوف يمد جناحيه إلى أقصى حدٍّ ممكن ويتحرك بسرعة مذهلة عبر الهواء، ويطير بكل سهولةٍ ورشاقة.

سنقف هناك، نحن الخمسة، حابسين أنفاسنا نراقبه. لا تُوحدنا رهبة هذا المخلوق فحسب، بل أيضًا الوعد الذي قطعناه لبعضنا بعضًا؛ بأننا سنفعل كل شيءٍ لحمايته، وأننا سنبحث عن حراس آخرين للبيضات الأخرى، وأننا سنقاتل من أجل التنين البري، وأننا لن نستسلم أبدًا.

سيهبط بالقُرب منا وسنتمكن من رؤية النيران تحت حراشفه.

لأن التنين لا يتنفس نارًا، بل هو النار بحدّ ذاتها، وهو الآن آخر ما تبقّى.

شكر وتقدير

شـكرًا جزيـلًا للأشخـاص الرائعيـن التاليـن، الذين لولاهم لما كنت لتقرأ هذا الكتاب:

كلير والاس، إيشـار بـرار، إيمـي فيلـون، صـوفي ماكدونيـل، إيلا تشـابمان، سـام سوثرست، جـورج تشارلز، سابينا ماهارجان، ليديا سيلفر، كريستينا إيفان، شيلا ديفيد، هيلين دادلي، كلوي ديفيز، شاريس لوك، أليكسا براون، روزالي وايت، هيلين هيكس، فيكتوريا موراي براون، باركر موير، جينا بيرسيفال، جورج جريفثس، سيليا وريتشارد هو ين، هانا أرنولد، دانيال ديفيز وبي.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©

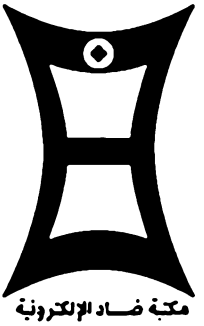

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد

https://t.me/twinkling4